

جزاء الشهداء يوم القيامة

إعداد

الباحث في القرآن والسنة

علي نايف الشجود

حقوق الطبع لكل مسلم

الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنَّ للشهداء فضائل عديدة عند الله تعالى، أخبرنا عنها ربنا سبحانه وتعالى، وأخبرنا عنها رسول الله ﷺ.

ومن ثم فيجب على المسلم أن يؤمن بها كما وردت، قال تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} [البقرة: ١٥٤]

وعَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ، لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، يَسْرُهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنْ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدَ لَمَّا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسْرُهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيَقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى»^١

هذا وقد جمعت ما ورد في القرآن والسنة النبوية صراحة في جزاء الشهيد عند الله تعالى يوم القيامة

^١ - صحيح البخاري (١٧/٤) (٢٧٩٥) وصحيح مسلم (٣/١٤٩٨) ١٠٨ -
[ش (له عند الله خير) ثواب مدخر على عمل صالح عمله في الدنيا]

وقد قسمته لمبحثين:

المبحث الأول = ما جاء في القرآن الكريم في جزاء الشهداء

المبحث الثاني = جزاؤهم في السنة النبوية.

وقد قمت بتفسير الآيات بشكل مختصر من كتب التفسير، والأحاديث قمت بتخريجها والحكم عليها، مع شرح ما يلزم شرحه...

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِهِ كَاتِبَهُ وَقَارِئَهُ وَنَاشِرَهُ وَالدَّالَّ عَلَيْهِ فِي الدَّارَيْنِ. قَالَ تَعَالَى: { فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء: ٧٤]

الباحث في القرآن والسنة

وعضو هيئة علماء المسلمين

علي بن نايف الشجود

١٠ ربيع الآخر ١٤٣٣ هـ الموافق ل ٣/٣/٢٠١٢ م



المبحث الأول

ما جاء في القرآن الكريم في جزاء الشهداء

الأولى - هم أحياء عند ربهم يرزقون:

قال تعالى: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) } [آل عمران]

عن مسروق، عن عبد الله، قال: قرأ: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } [آل عمران: ١٦٩] فقال: أما قد سألناه عن ذلك، فأخبرنا أن الأرواح جعلت في طير خضر، تأوي إلى فناديل معلقة بالعرش، فتسرح في أي الجنة شاءت، قال: فاطلع إليهم ربك اطلاعة فقال: هل تستزيذوني فأزيدكم؟ قالوا: ألسنا نسرح في الجنة حيث شئنا؟ قال: ثم اطلع إليهم ربك اطلاعة فقال: هل تستزيذوني فأزيدكم؟ فلما رأوا أنهم لا يتركون قالوا: ترد أرواحنا في أحسادنا، حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. قال سفيان: وزاد عطاء بن السائب عن أبي عبيدة، عن

عَبْدَ اللَّهِ قَالَ: تُقْرَأُ نَبِيْنَا مِنَّا السَّلَامَ، وَتُخْبِرُهُ أَنْ قَدْ رَضِينَا وَرَضِيَ
عَنَّا، وَتَرُدُّ أَرْوَاحَنَا حَتَّى تُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى^٢
وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ} [آل
عمران: ١٦٩] يَعْنِي: أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ^٣
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ نَهْرٍ بَابِ
الْجَنَّةِ، فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»^٤
وَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: {يُرَزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩] قَالَ: إِنْ كَانَ
يَقُولُ: يُرَزَقُونَ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ، وَيَجِدُونَ رِيحَهَا وَلَيْسُوا فِيهَا^٥
وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ
يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ} [آل عمران: ١٧٠] قَالَ: لَمَّا دَخَلُوا الْجَنَّةَ
وَرَأَوْا مَا فِيهَا مِنَ الْكَرَامَةِ لِلشُّهَدَاءِ، قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ فِي
الدُّنْيَا يَعْلَمُونَ مَا عَرَفْنَاهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، فَإِذَا شَهِدُوا الْقِتَالَ بَاشَرُوها
بأنفُسِهِمْ حَتَّى يُسْتَشْهِدُوا، فَيُصِيبُونَ مَا أَصَبْنَا مِنَ الْخَيْرِ - فَأُخْبِرَ
النَّبِيُّ ﷺ بِأَمْرِهِمْ، وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنِّي قَدْ أُنْزِلْتُ
عَلَى نَبِيِّكُمْ - وَأَخْبَرْتُهُ بِأَمْرِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَاسْتَبْشِرُوا

^٢ - تفسير ابن أبي حاتم، الأصل - مخرجا (٨١٢/٣) (٤٤٩١) صحيح

^٣ - تفسير ابن أبي حاتم، الأصل - مخرجا (٨١٣/٣) (٤٤٩٢) صحيح

^٤ - تفسير ابن أبي حاتم، الأصل - مخرجا (٨١٣/٣) (٤٤٩٤) حسن

^٥ - تفسير ابن أبي حاتم، الأصل - مخرجا (٨١٣/٣) (٤٤٩٥) صحيح

بَذَلِكَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ} [آل عمران: ١٧٠] الآية^٦

وَعَنِ السُّدِّيِّ، قَوْلُهُ: {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ} [آل عمران: ١٧٠] فَإِنَّ الشَّهِيدَ يُؤْتَى بِكِتَابٍ فِيهِ مَنْ يَقْدُمُ عَلَيْهِ مِنْ إِخْوَانِهِ وَأَهْلِهِ، يُقَالُ: يَقْدُمُ عَلَيْكَ فَلَانٌ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَقْدُمُ عَلَيْكَ فَلَانٌ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَيَسْتَبْشِرُ حِينَ يَقْدُمُ عَلَيْهِ كَمَا يَسْتَبْشِرُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِقُدُومِهِ فِي الدُّنْيَا^٧

وَعَنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ} [آل عمران: ١٧٠] يَعْنِي: إِخْوَانَهُمْ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا أَنَّهُمْ سَيَحْرُصُونَ عَلَى الْجِهَادِ وَيَلْحَقُونَ بِهِمْ^٨

وَعَنِ عَبَادِ بْنِ مَنْصُورٍ، قَالَ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ عَنْ قَوْلِهِ: {يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٧١] فَقَالَ: مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُقَدَّمُ إِلَى الْبُشْرَى إِلَى مَا قُدِّمَ مِنْ خَيْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَيَقُولُ: أَخِي تَرَكَتُهُ عَلَى مِثْلِ عَمَلِي، يُقْتَلُ الْآنَ، فَيُقَدَّمُ عَلَى مِثْلِ مَا قُدِّمَتْ عَلَيْهِ فَيَسْتَبْشِرُ بِالْجَنَّةِ^٩

^٦ - تفسير ابن أبي حاتم، الأصل - مخرجا (٨١٤ / ٣) (٤٤٩٨) حسن مرسل

^٧ - تفسير ابن أبي حاتم، الأصل - مخرجا (٨١٤ / ٣) (٤٤٩٩) حسن مرسل

^٨ - تفسير ابن أبي حاتم، الأصل - مخرجا (٨١٤ / ٣) (٤٥٠٠) حسن

^٩ - تفسير ابن أبي حاتم، الأصل - مخرجا (٨١٥ / ٣) (٤٥٠٣) صحيح مقطوع

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُمْ قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَلَكِنَّ أَرْوَاحَهُمْ حَيَّةٌ تُرَزَّقُ عِنْدَ اللَّهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ، لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، يَسْرُهَا أَنْ تَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا إِلَّا الشَّهِيدُ، فَإِنَّهُ يَسْرُهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى مِمَّا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ".

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: عَلَيْهِمْ أَلَّا يَنْخَدِعُوا بِمَا يَقُولُهُ الْمُنَافِقُونَ، وَمَا يَفْعَلُونَهُ، فَهُمْ يُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، لَا رِثْيَابَهُمْ فِي الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ فِي الْآخِرَةِ، فَالشُّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ يُرَزَّقُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ رِزْقًا حَسَنًا يَعْلَمُهُ هُوَ. وَيَكُونُ الشُّهَدَاءُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرِحِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْعِبْطَةِ، الَّتِي مَنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِمْ، مُسْتَبْشِرِينَ بِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ بَعْدَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَنَّهُمْ يَقْدَمُونَ عَلَيْهِمْ حِينَمَا يَسْتَشْهِدُونَ، لَا يَخَافُونَ مِمَّا أَمَامَهُمْ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا تَرَكَوهُ فِي الدُّنْيَا. وَهُمْ مُسْتَبْشِرُونَ مِنْ تَلْقِيهِمْ مَا يُفِضُهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْفَضْلِ وَالثَّوَابِ، وَمِنْ يَقِينِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ.^{١٠}

هذه الآيات الكريمة فيها فضيلة الشهداء وكرامتهم، وما مَنَّ اللَّهُ عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم

^{١٠} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٦٢، بترقيم الشاملة آليا)

وتعزييتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة، فقال: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله { أي: في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله {أمواتا} أي: لا يخطر ببالك وحسابك أنهم ماتوا وفقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا والتمتع بزهرتها، الذي يحذر من فواته، من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة. {بل} قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون. فهم {أحياء عند ربهم} في دار كرامته.

ولفظ: {عند ربهم} يقتضي علو درجتهم، وقربهم من ربهم، {يرزقون} من أنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه، إلا من أنعم به عليهم، ومع هذا {فرحين بما آتاهم الله من فضله} أي: مغتبطين بذلك، قد قرت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم، وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه، وعدم المنعص، فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح. بما آتاهم من فضله: فتم لهم النعيم والسرور، وجعلوا {يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم} أي: يبشر بعضهم بعضا، بوصول إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، {ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون} أي: يستبشرون بزوال الحذور عنهم وعن إخوانهم المستلزم كمال السرور

{يستبشرون بنعمة من الله وفضل} أي: يهنيء بعضهم بعضاً، بأعظم مهناً به، وهو: نعمة ربهم، وفضله، وإحسانه، {وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين} بل ينميه ويشكره، ويزيده من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم.

وفي هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم، وفيه تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضاً، وتبشير بعضهم بعضاً.^{١١}

هو تطمين للمؤمنين، وكبت وحسرة للكافرين والمنافقين.. فهؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله، قد استوفوا آجالهم في الدنيا، ولم يذهب القتل بساعة من أعمارهم، فما قتل منهم قتيل إلا بعد أن انتهى أجله المقدور له عند الله..

ثم إن هؤلاء القتلى «شهداء» أي حضور، لم يغيبوا، ولم يصيروا إلى عالم الفناء والعدم، وإنما هم أحياء حياة باقية خالدة، لا يذوقون فيها الموت.. وهذا هو الذي يصير إليه كل من يموت من الناس. من مؤمنين وكافرين..

وهذا هو الذي يؤمن به المؤمنون بالله، فلا يرون في الموت خاتمة الإنسان وانتهاء دوره في الوجود، وإنما يرون الموت رحلة من عالم

^{١١} - تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٥٦)

إلى عالم، ونقلة من دار إلى دار.. من دار الفناء والزوال إلى دار
البقاء والخلود، ومن عالم التكليف والابتلاء، إلى عالم الحساب
والجزاء..

ومن أجل هذا يستخفّ المؤمنون بالموت، ولا يكبر عليهم
خطبه، لأنهم ينظرون إلى الحياة الخالدة بعده، ويعملون لها، ليسعدوا
فيها، ولينعموا بنعيمها المعدّ لعباده الله الصالحين.

أما غير المؤمنين بالله، فإنهم لا يؤمنون باليوم الآخر، ولا يعتقدون أن
وراء الحياة الدنيا حياة، وأنهم إذا ماتوا صاروا إلى تراب وعدم..

ولهذا يشتد حرصهم على الحياة، ويعظم جزعهم من الموت، إذ كان
العدم - كما يتصورن - هو الذي ينتظرهم بعده.. فتضاعف
حسرتهم على من مات منهم، ويشتد حزهم عليه، لأنهم - حسب
معتقدهم - لا يلتقون به أبدا!! هذه هى الحقيقة.. الأموات
جميعا، ليسوا بأموات على الحقيقة، وإنما هم أحياء فى العالم الآخر..

ولكن القرآن الكريم لم يكشف هذه الحقيقة كلها، ولم يظهر منها
إلا ما يملأ قلوب الكافرين والمنافقين حسرة وألماً، وإلا ما يبعث فى
قلوب المؤمنين العزاء والرضا، إذ ينظر هؤلاء وأولئك جميعا إلى قوله
تعالى:

«وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» فيجدون هؤلاء القتلى أحياء في العالم العلوي، يرزقون من نعيمه، ويطعمون من طيباته: «فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ».

فهؤلاء القتلى الذين ينظر إليهم المشركون والمنافقون نظر شتاة وتشفٍّ، على حين ينظر إليهم إخوانهم وأحبائهم نظرة حزن وأسى لهذه الميته التي ماتوا عليها- هؤلاء القتلى قد أشرفوا على الدنيا من عليائهم، ينعمون بما آتاهم الله من فضله- وإنه لفضل عميم، يملأ القلوب بهجة ومسرة.. فيحزن لذلك المشركون والمنافقون، ويتعزى به، ويستبشر المؤمنون.

قوله تعالى: «وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

بيان لكمال هذا النعيم الذين ينعم به هؤلاء الشهداء، وأنهم ليسوا مجرد أحياء حياة باهتة، بل هم في حياة قوية كاملة، بحيث تشمل عالمهم العلوي الذي نقلوا إليه، وعالمهم الأرضي الذي انتقلوا منه.. فهم في هذا العالم العلوي.

إذ ينظرون إلى أنفسهم فيجدون أنهم في فضل من الله ونعمة، وأنهم إنما نالوا هذا الفضل وتلك النعمة بجهادهم في سبيل الله، وباستشهادهم في هذه السبيل- يعودون فينظرون إلى إخوانهم

المؤمنين الذين لم يلحقوا بهم بعد، وأنهم على طريق الجهاد والاستشهاد، فيستبشرون لذلك، وتتضاعف فرحتهم إذ سيلقى إخوانهم هذا الجزاء الذي جوزوا هم به، وينعمون بهذا النعيم الذي هم فيه، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ»..

فكما وفى الله هؤلاء الذين استشهدوا فى سبيل الله، سيوفى الذين لم يستشهدوا بعد أجرهم، فالله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر المؤمنين، ولا يبخس ثواب المجاهدين.

وقوله سبحانه: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ». المراد هؤلاء الذين الذين استجابوا لله ورسوله، هم المسلمون الذين خرجوا مع النبى - صلوات الله وسلامه عليه - بعد عودتهم من أحد، وقد بلغ النبى أن قریشا بعد انصرافها من أحد، ندمت على أنها أنهت القتال من قبل أن تستأصل المسلمين، وقد أمكنتها الفرصة فيهم، فبدأ لها أن تعود فتدخل عليهم المدينة وتبيدهم جميعا.. وهنا أمر النبى أصحابه أن يخرجوا للقاء العدو، دون أن يكون فيهم أحد ممن لم يشهد معهم القتال.. فخرج المسلمون الذين شهدوا أحد، جميعا، وهم مثخنون بالجراح، لا يكاد أحدهم يمسك نفسه.. فلما علمت قریش أن النبى

خرج في أصحابه ظنوا أن النبي يطلبهم، ليأخذ للمسلمين بقتالهم في أحد.. فرجعوا إلى مكة، ورجع النبي وأصحابه إلى المدينة، دون أن يقع قتال.

فهؤلاء الذين هم استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح. وقد عدّهم الله جميعاً في الشهداء، من استشهد منهم فيما بعد من ولم يستشهد، لأنهم كانوا في مواجهة القتل المحقق.. وقوله تعالى: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ» هو شرط لنيل درجة الاستشهاد، إذ لا بد أن يستمسك هؤلاء المؤمنون بما هم عليه يومئذ من إحسان وتقوى، أمّا من انحلّ عزمه، وفتر إيمانه بعد ذلك، فليس أهلاً لأن ينال هذه الدرجة العليا، وذلك الأجر العظيم.

وفي هذا تحذير للمسلمين الذين ذكرهم الله، ومجّد عملهم، وأعلى منزلتهم - من أن يستنيموا في ظل هذا الوعد الكريم، دون أن يعملوا ليكونوا أهلاً له، وليظلوا محتفظين بهذه المرتبة التي أنزلهم الله أيهاها، فليتقوا وليحسنوا، وليزدادوا إحساناً وتقوى، فعند الله منازل كثيرة للمتقين الحسنيين.^{١٢}

^{١٢} - التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٦٤٠)

وعلى كل حال فواجب المؤمن أن يؤمن بما جاء في الآيات والأحاديث النبوية المفسرة أو المتسقة معها مع الملاحظة أن ذلك من الأمور الغيبية التي يجب الوقوف منها عند ما وقف عنده القرآن أو المأثور الثابت من أحاديث النبي مع استشفاف ما لا بد أن يكون في عبارتها من حكمة دنيوية أيضا. ويتبادر لنا من ذلك قصد تبشير الأحياء من المسلمين وتطمينهم بالنسبة لشهادتهم الأعرزاء وبالنسبة لأنفسهم. وحثهم على الثبات على دين الله والجهاد في سبيله الذي يضمن لهم التكريم الرباني العظيم.

وإطلاق العبارة في الآيتين يسوغ القول أن فيها علاجاً روحياً قوياً مستمر المدى في صدد الحث على الجهاد مهما كانت النتيجة. يستمد منه المؤمن المخلص في كل وقت إيمانا وثباتا وجرأة وإقداما. فما دام الموت أمرا محتما على كل امرئ وما دام أنه لا يكون إلّا في الأجل المعين عند الله وما دام للشهيد هذه الحياة الكريمة عند الله فضلا عما له عند الناس من كرامة وحسن ذكر فليس من موجب للخوف من الجهاد ولا للجزع من نتائجه مهما كانت.^{١٣}

^{١٣} - التفسير الحديث (٧/ ٢٦٩)

وقال القرطبي: "أخبر الله تعالى فيها عن الشهداء أنهم أحياء في الجنة يرزقون، ولا محالة أنهم مائتوا وأن أجسادهم في التراب، وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين، وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم. وقد اختلف العلماء في هذا المعنى. فالذي عليه المعظم هو ما ذكرناه، وأن حياة الشهداء محققة. ثم منهم من يقول: ترد إليهم الأرواح في قبورهم فينعمون، كما يحيا الكفار في قبورهم فيعذبون. وقال مجاهد: يرزقون من ثمر الجنة، أي يجدون ريحها وليسوا فيها. وصار قوم إلى أن هذا مجاز، والمعنى أنهم في حكم الله مستحقون للتنعم في الجنة. وهو كما يقال: ما مات فلان، أي ذكره حي، كما قيل:

موت التقي حياة لا فناء لها... قد مات قوم وهم في الناس أحياء
 فالعنى أنهم يرزقون الشاء الجميل. وقال آخرون: أرواحهم في أجواف طير خضر وأنهم يرزقون في الجنة ويأكلون ويتنعمون. وهذا هو الصحيح من الأقوال، لأن ما صح به النقل فهو الواقع. وحديث ابن عباس نص يرفع الخلاف. وكذلك حديث ابن مسعود خرجته مسلم.

وَأَمَّا مَنْ تَأَوَّلَ فِي الشُّهَدَاءِ أَنَّهُمْ أَحْيَاءُ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ سَيَحْيَوْنَ فَبَعِيدٌ يَرُدُّهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: "بَلْ أَحْيَاءُ" دَلِيلٌ عَلَى حَيَاتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يُرْزَقُونَ وَلَا يُرْزَقُ إِلَّا حَيٌّ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ يُكْتَبُ لَهُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ ثَوَابُ غَزْوَةٍ، وَيُشْرَكُونَ فِي ثَوَابِ كُلِّ جِهَادٍ كَانَ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّهُمْ سَنُوا أَمْرَ الْجِهَادِ. نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: "مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا" [المائدة: ٣٢]. عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانُهُ هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَقِيلَ: لِأَنَّهُمْ أَرْوَاحُهُمْ تَرْكَعُ وَتَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَأَرْوَاحِ الْأَحْيَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَاقُوا عَلَى وُضُوءٍ. وَقِيلَ: لِأَنَّ الشَّهِيدَ لَا يَبْلَى فِي الْقَبْرِ وَلَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ. وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الْمَعْنَى فِي "التَّذَكُّرَةِ" وَأَنَّ الْأَرْضَ لَا تَأْكُلُ الْأَنْبِيَاءَ وَالشُّهَدَاءَ وَالْعُلَمَاءَ وَالْمُؤَذِّنِينَ الْمُحْتَسِبِينَ وَحَمَلَةَ الْقُرْآنِ".^{١٤}

لقد شاء الله بعد أن أراح القلوب المؤمنة على صدر هذه الحقيقة الثابتة.. أن يزيد هذه القلوب طمأنينة وراحة. فكشف لها عن مصير الشهداء: الذين قتلوا في سبيل الله - وليس هنالك شهداء إلا الذين يقتلون في سبيل الله خالصة قلوبهم لهذا المعنى، مجردة من كل ملابسة أخرى - فإذا هؤلاء الشهداء أحياء، لهم كل خصائص

^{١٤} - تفسير القرطبي (٤/ ٢٦٩)

الأحياء. فهم «يُرْزَقُونَ» عند ربهم. وهم فرحون بما آتاهم الله من فضله. وهم يستبشرون بمصائر من وراءهم من المؤمنين. وهم يحفلون بالأحداث التي تمر بمن خلفهم من إخوانهم.. فهذه خصائص الأحياء: من متاع واستبشار واهتمام وتأثر وتأثير. فما الحسرة على فراقهم؟ وهم أحياء موصولون بالأحياء وبالأحداث، فوق ما نالهم من فضل الله، وفوق ما لقوا عنده من الرزق والمكانة؟ وما هذه الفواصل التي يقيمها الناس في تصوراتهم بين الشهيد الحي ومن خلفه من إخوانه؟ والتي يقيمونها بين عالم الحياة وعالم ما بعد الحياة؟ ولا فواصل ولا حواجز بالقياس إلى المؤمنين، الذين يتعاملون هنا وهناك مع الله..؟

إن جلاء هذه الحقيقة الكبيرة ذو قيمة ضخمة في تصور الأمور. إنها تعدّل - بل تنشئ إنشاء - تصور المسلم للحركة الكونية التي تتنوع معها صور الحياة وأوضاعها، وهي موصولة لا تنقطع فليس الموت خاتمة المطاف بل ليس حاجزا بين ما قبله وما بعده على الإطلاق! إنها نظرة جديدة لهذا الأمر، ذات آثار ضخمة في مشاعر المؤمنين، واستقبالهم للحياة والموت، وتصورهم لما هنا وما هناك.

«وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ».. والآية نص في النهي عن حساب أن الذين قتلوا في

سبيل الله، وفارقوا هذه الحياة، وبعثوا عن أعين الناس.. أموات.. ونص كذلك في إثبات أنهم «أحياء».. «عند ربهم». ثم يلي هذا النهي وهذا الإثبات، وصف ما لهم من خصائص الحياة. فهم «يُرزقون».. ومع أننا نحن - في هذه الفانية - لا نعرف نوع الحياة التي يحياها الشهداء، إلا ما يبلغنا من وصفها في الأحاديث الصحاح.. إلا أن هذا النص الصادق من العليم الخبير كفيل وحده بأن يغير مفاهيمنا للموت والحياة، وما بينهما من انفصال والتنام. وكفيل وحده بأن يعلمنا أن الأمور في حقيقتها ليست كما هي في ظواهرها التي ندركها وأننا حين ننشئ مفاهيمنا للحقائق المطلقة بالاستناد إلى الظواهر التي ندركها. لا ننتهي إلى إدراك حقيقي لها وأنه أولى لنا أن ننتظر البيان في شأنها ممن يملك البيان سبحانه وتعالى.

فهؤلاء ناس منا، يقتلون، وتفارقهم الحياة التي نعرف ظواهرها، ويفارقون الحياة كما تبدو لنا من ظواهرها. ولكن لأنهم: «قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» وتجردوا له من كل الأعراض والأعراض الجزئية الصغيرة واتصلت أرواحهم بالله، فجادوا بأرواحهم في سبيله.. لأنهم قتلوا كذلك، فإن الله - سبحانه - يخبرنا في الخبر الصادق، أنهم ليسوا أمواتا. وبنهاية أن نحسبهم

كذلك، ويؤكد لنا أنهم أحياء عنده، وأنهم يرزقون. فيتلقون رزقه لهم استقبال الأحياء.

ويخبرنا كذلك بما لهم من خصائص الحياة الأخرى: «فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»..

فهم يستقبلون رزق الله بالفرح لأنهم يدركون أنه «مِنْ فَضْلِهِ» عليهم. فهو دليل رضاه وهم قد قتلوا في سبيل الله. فأى شيء يفرحهم إذن أكثر من رزقه الذي يتمثل فيه رضاه؟

ثم هم مشغولون بمن وراءهم من إخوانهم وهم مستبشرون لهم لما علموه من رضى الله عن المؤمنين المجاهدين: «وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ».

إنهم لم ينفصلوا من إخوانهم «بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ» ولم تنقطع بهم صلاتهم. إنهم «أَحْيَاءُ» كذلك معهم، مستبشرون بما لهم في الدنيا والآخرة. موضع استبشارهم لهم: «أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»..

وقد عرفوا هذا واستيقنوه من حياتهم «عِنْدَ رَبِّهِمْ» ومن تلقيهم لما يفيضه عليهم من نعمة وفضل، ومن يقينهم بأن هذا شأن الله مع المؤمنين الصادقين. وأنه لا يضيع أجر المؤمنين..

فما الذي يبقى من خصائص الحياة غير متحقق للشهداء - الذين قتلوا في سبيل الله؟ - وما الذي يفصلهم عن إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم؟ وما الذي يجعل هذه النقلة موضع حسرة وفقدان ووحشة في نفس الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم وهي أولى أن تكون موضع غبطة ورضى وأنس، عن هذه الرحلة إلى جوار الله، مع هذا الاتصال بالأحياء والحياة! إنما تعديل كامل لمفهوم الموت - متى كان في سبيل الله - وللمشاعر المصاحبة له في نفوس المجاهدين أنفسهم، وفي النفوس التي يخلفونها من ورائهم. وإفساح لمجال الحياة ومشاعرها وصورها، بحيث تتجاوز نطاق هذه العاجلة، كما تتجاوز مظاهر الحياة الزائلة. وحيث تستقر في مجال فسيح عريض، لا تعترضه الحواجز التي تقوم في أذهاننا وتصوراتنا عن هذه النقلة من صورة إلى صورة، ومن حياة إلى حياة! ووفقا لهذا المفهوم الجديد الذي أقامته هذه الآية ونظائرها

من القرآن الكريم في قلوب المسلمين، سارت خطى المجاهدين
الكرام في طلب الشهادة - في سبيل الله -^{١٥}

الثانية - عدم شعورنا بحياة الشهداء:

قال تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ
وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} [البقرة: ١٥٤]

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِ الشَّهَادَةِ وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ الشُّهَدَاءَ
الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ بِغَيْرِ
حِسَابٍ، وَلَكِنَّ الْأَحْيَاءَ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ، لِأَنَّ حَيَاتَهُمْ لَيْسَتْ فِي
عَالَمِ الْحِسِّ الَّذِي يُدْرِكُ بِالْمَشَاعِرِ.^{١٦}

عَنْ قِتَادَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) ((١٥٤)) [البقرة: ١٥٤] ؛
قَالَ: إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ بَيْضٍ، يَأْكُلْنَ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ
مَسَاكِنُهُمُ السُّدْرَةُ، وَإِنْ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: مَنْ
قُتِلَ مِنْهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَارَ حَيًّا مَرْزُوقًا، وَمَنْ غَلَبَ آتَاهُ اللَّهُ أَجْرَ
عَظِيمًا، وَمَنْ مَاتَ رَزَقَهُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا. قَالَ إِسْمَاعِيلُ: وَمِنْهُ حَدِيثُ

^{١٥} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٨٢٨)

^{١٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٦١، بترقيم الشاملة آليا)

النَّبِيِّ ﷺ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الْفَانِتِ الصَّائِمِ الَّذِي لَا يَفْتُرُ مِنْ صَلَوَاتِهِ وَلَا صِيَامِهِ حَتَّى يَرْجِعَ مَتَى مَا رَجَعَ»، وَقَالَ ﷺ: «قَالَ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى ضَامِنٍ إِنْ قَبَضَتْهُ؛ أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ رَجَعَتْهُ؛ رَجَعَتْهُ بِأَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ».^{١٧}

وَعَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} قَالَ: أَرْوَاهُ الشُّهَدَاءُ فِي طَيْرٍ بَيْضٍ فَقَاقِيعَ فِي الْجَنَّةِ.^{١٨}

والجهاد في سبيل الله، محفوف دائما بالبذل والتضحية.. بذل المال، وتضحية النفس، والأهل والولد.

والابتلاء بفقد الأحباب- ولو كان في سبيل الله- شاق على النفس، أليم وقعه على الأحياء، ولهذا لم يكن الفيء إلى الصبر والصلاة- مهما كان شأنهما- بالذي يقهر نوازع الحزن، ويذهب بلواعج الأسى في هذا المقام..

ولهذا جاءت تلك المواساة الكريمة الرحيمة من رب العالمين، لتمسح بيد الرحمة على ما بقلوب المبتلين بفقد أحبائهم، والمصابين باستشهاد أهليهم، من آلام وأحزان، فهؤلاء الشهداء- كما يخبر

^{١٧} - المجالسة وجواهر العلم (٤/ ٢٤٣) (١٣٩٢) صحيح مرسل

^{١٨} - مصنف ابن أبي شيبة - دار القبله (١٠/ ٣٣٣) (١٩٨٤٠) صحيح مرسل

رب العالمين- ليسوا بالأموات، وإنما هم أحياء. في أطيب منزل، وعند أرحب جناب: «عند ربهم يُرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون» (١٧٩ - ١٧٠: آل عمران) إن هؤلاء الشهداء شأننا آخر عند الله غير شأن غيرهم ممن ينقلون من هذه الدنيا إلى الدار الآخرة.. فهم أحياء عند ربهم وإن كنا لا نشعر بحياتهم، هم في عالم ونحن في عالم، وبين العالمين حجاز.. وحسب المؤمن أن يتلقى هذا الخبر عن الله تعالى فيعلم، عن يقين أن الشهداء أحياء، يلبسون صورة للحياة أكرم وأبقى من الحياة التي كانوا عليها.. وهم في نعيم لا يقاس به أي نعيم ينعم به المنعمون في هذه الدنيا.^{١٩}

لما ذكر تبارك وتعالى، الأمر بالاستعانة بالصبر على جميع الأمور ذكر نموذجاً مما يستعان بالصبر عليه، وهو الجهاد في سبيله، وهو أفضل الطاعات البدنية، وأشقها على النفوس، لمشقته في نفسه، ولكونه مؤدياً للقتل، وعدم الحياة، التي إنما يرغب الراغبون في هذه الدنيا لحصول الحياة ولوازمها، فكل ما يتصرفون به، فإنه سعى لها، ودفع لما يضادها.

^{١٩} - التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٧٥)

ومن المعلوم أن المحبوب لا يتركه العاقل إلا لمحبوب أعلى منه وأعظم، فأخبر تعالى: أن من قتل في سبيله، بأن قاتل في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض، فإنه لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل، مما تظنون وتحسبون.

فالشهداء {أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}.

فهل أعظم من هذه الحياة المتضمنة للقرب من الله تعالى، وتمتعهم برزقه البدي في المأكولات والمشروبات اللذيذة، والرزق الروحي، وهو الفرح، والاستبشار وزوال كل خوف وحزن، وهذه حياة برزخية أكمل من الحياة الدنيا، بل قد أخبر النبي ﷺ أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش. وفي هذه الآية، أعظم حث على الجهاد في سبيل الله، وملازمة الصبر عليه، فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم يتخلف عنه أحد، ولكن عدم العلم اليقيني التام، هو الذي فتر العزائم، وزاد نوم النائم، وأفات

الأجور العظيمة والغنائم، لم لا يكون كذلك والله تعالى
قد: {اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون}.

فوالله لو كان للإنسان ألف نفس، تذهب نفسا فنفسا في سبيل
الله، لم يكن عظيما في جانب هذا الأجر العظيم، ولهذا لا يتمنى
الشهداء بعدما عاينوا من ثواب الله وحسن جزائه إلا أن يردوا إلى
الدنيا، حتى يقتلوا في سبيله مرة بعد مرة.^{٢٠}

وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى يُحْيِيهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ لِيرْزُقَهُمْ - عَلَى مَا يَأْتِي -
فَيَجُوزُ أَنْ يُحْيِيَ الْكُفَّارَ لِيُعَذِّبَهُمْ، وَيَكُونَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى عَذَابِ
الْقَبْرِ. وَالشُّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ
سَيَحْيَوْنَ، إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الشُّهَدَاءِ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ فَرْقٌ
إِذْ كُلُّ أَحَدٍ سَيَحْيَا. وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَلَكِنْ لَّا
تَشْعُرُونَ" وَالْمُؤْمِنُونَ يَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ سَيَحْيَوْنَ. وَارْتَفَعَ "أَمْوَاتٌ" عَلَى
إِضْمَارٍ مُبْتَدَأٍ، وَكَذَلِكَ "بَلْ أَحْيَاءٌ" أَيْ هُمْ أَمْوَاتٌ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَلَا
يَصِحُّ إِعْمَالُ الْقَوْلِ فِيهِ لِأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَنَاسُبٌ، كَمَا يَصِحُّ فِي
قَوْلِكَ: قُلْتُ كَلَامًا وَحُجَّةً.^{٢١}

^{٢٠} - تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٥)

^{٢١} - تفسير القرطبي (٢/ ١٧٣)

إن هنالك قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق. شهداء في سبيل الله. قتلى أعزاء أحبباء. قتلى كراما أذكىاء - فالذين يخرجون في سبيل الله، والذين يضحون بأرواحهم في معركة الحق، هم عادة أكرم القلوب وأزكى الأرواح وأطهر النفوس - هؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتا. إنهم أحياء. فلا يجوز أن يقال عنهم: أموات. لا يجوز أن يعتبروا أمواتا في الحس والشعور، ولا أن يقال عنهم أموات بالشفة واللسان. إنهم أحياء بشهادة الله سبحانه. فهم لا بد أحياء.

إنهم قتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين. ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقرر هما هذه النظرة السطحية الظاهرة.. إن سمة الحياة الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد. وسمة الموت الأولى هي السلبية والخمود والانقطاع.. وهؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله فاعليتهم في نصره الحق الذي قتلوا من أجله فاعلية مؤثرة، والفكرة التي من أجلها قتلوا ترتوي بدمائهم وتمتد، وتأثر الباقيين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد. فهم ما يزالون عنصرا فعالا دافعا مؤثرا في تكييف الحياة وتوجيهها، وهذه هي صفة الحياة الأولى. فهم أحياء أولا بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس. ثم هم أحياء عند ربهم - إما بهذا الاعتبار، وإما باعتبار آخر لا ندري نحن

كنهه. وحسبنا إخبار الله تعالى به: «أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ».. لأن كنه هذه الحياة فوق إدراكنا البشري القاصر المحدود. ولكنهم أحياء. أحياء. ومن ثم لا يغسلون كما يغسل الموتى، ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها. فالغسل تطهير للجسد الميت وهم أطهار بما فيهم من حياة. وثيابهم في الأرض ثيابهم في القبر لأنهم بعد أحياء.

أحياء. فلا يشق قتلهم على الأهل والأحباء والأصدقاء. أحياء يشاركون في حياة الأهل والأحباء والأصدقاء. أحياء فلا يصعب فراقهم على القلوب الباقية خلفهم، ولا يتعاضدها الأمر، ولا يهولنا عظم الفداء.....

ولكن من هم هؤلاء الشهداء الأحياء؟ إنهم أولئك الذين يقتلون «فِي سَبِيلِ اللَّهِ».. في سبيل الله وحده، دون شركة في شارة ولا هدف ولا غاية إلا الله. في سبيل هذا الحق الذي أنزله. في سبيل هذا المنهج الذي شرعه. في سبيل هذا الدين الذي اختاره.. في هذا السبيل وحده، لا في أي سبيل آخر، ولا تحت أي شعار آخر، ولا شركة مع هدف أو شعار. وفي هذا شدد القرآن وشدد الحديث، حتى ما تبقى في النفس شبهة أو خاطر.. غير الله..

عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَإِنْ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَاتِلًا، فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^{٢٢}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ يَتَنَغِي عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا أَجْرَ لَهُ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَعَادَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: لَا أَجْرَ لَهُ^{٢٣} فهؤلاء هم الشهداء. هؤلاء الذين يخرجون في سبيل الله، لا يخرجهم إلا جهاد في سبيله، وإيمان به، وتصديق برسله.

ولقد كره رسول الله - ﷺ - لفتى فارسي يجاهد أن يذكر فارسيته ويعتز بجنسيته في مجال الجهاد: فعن أبي عُبَيْدَةَ، وَكَانَ مَوْلًى مِنْ أَهْلِ فَارِسَ، قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُحُدًا، فَضَرَبْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقُلْتُ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْعُلَامُ الْفَارِسِيُّ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ

^{٢٢} - صحيح البخاري (١/٣٦)(١٢٣)

[ش(غضب) انتقاماً حالة الغضب. (حمية) محاماة عن العشيرة. (كلمة الله) كلمة التوحيد ودعوة الإسلام. (العليا) العالية فوق كل ملة ومذهب]

^{٢٣} - المستدرك للحاكم (٣٤٠٤) صحيح

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «فَهَلَّا قُلْتَ خُذْهَا مِنِّي، وَأَنَا الْعُلَامُ
الْأَنْصَارِيُّ».^{٢٤}

أَيُّ: إِذَا افْتَخَرْتَ عِنْدَ الضَّرْبِ، فَانْتَسَبَ إِلَى الْأَنْصَارِ الَّذِينَ هَاجَرُوا
إِلَيْهِمْ وَنَصَرُوهُ، وَكَانَ فَارِسُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ كُفَّارًا فَكَّرَهُ
الْانْتِسَابَ إِلَيْهِمْ، وَأَمَرَهُ بِالْانْتِسَابِ إِلَى الْأَنْصَارِ لِيَكُونَ مُنْتَسِبًا إِلَى
أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ الصَّحَابَةَ مِمَّا عَدَا الْمُهَاجِرِينَ قَدْ يُطْلَقُ
عَلَيْهِمُ الْأَنْصَارُ، وَلَيْسُوا بِمَخْصُوصِينَ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ كَمَا
يُتَوَهَّمُ، وَبِهَذَا يَحْصُلُ الْعُمُومُ وَالشُّمُولُ لِلصَّحَابَةِ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى: {مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} [التوبة: ١٠٠]^{٢٥}

فقد كره له - ﷺ - أن يفخر بصفة غير صفة النصر للنبي - ﷺ -
-، وأن يحارب تحت شارة إلا شارة النصر لهذا الدين.. وهذا هو
الجهاد. وفيه وحده تكون الشهادة، وتكون الحياة للشهداء.^{٢٦}

الثالثة - الأجر العظيم:

^{٢٤} - سنن أبي داود (٣٣٢/٤) (٥١٢٣) حسن

^{٢٥} - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٠٧٦/٧)

^{٢٦} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٣٥٥)

قال تعالى: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ٧٤]

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَبِيعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَيَبْذُلَهَا، وَيَجْعَلَهَا
ثَمَنًا لِلْآخِرَةِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ أَعَزَّ دِينَ اللَّهِ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ
الْعُلْيَا. وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُظْفَرُ بِهِ عَدُوُّهُ وَيَقْتُلُهُ، أَوْ يَظْفَرُ هُوَ
بِعَدُوِّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا مِنْ عِنْدِهِ.

(وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ هَمَّ الْمُقَاتِلِ الْمُسْلِمِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
الظَّفَرُ أَوْ الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَلَيْهِ أَنْ لَا يُفَكِّرَ فِي الْمَرْبِ
وَالنَّجَاةِ بِالنَّفْسِ، فَالْمَرْبُ لَا يُنَجِّي مِنْ قَدَرِ اللَّهِ، وَفِيهِ غَضَبُ اللَّهِ
وَسَخَطُهُ).^{٢٧}

ذلك هو القتال في سبيل الله، لا يخفّ إليه، ولا يندرج به في جماعة
المجاهدين، إلا من وطن نفسه على احتمال تبعاته، وقدّر الموت قبل
أن يقدر الحياة، وشرى الحياة الدنيا بالآخرة. فذلك هو الذي
يحتسب له أجر المجاهدين عند الله، إن سلم، أو عطب، لأنه بايع
الله، ووفّى بما عاهد الله عليه، ووقع أجره على الله، وهو نيّة
الجهاد، وعلى طريق المجاهدين، وإن لم يلتحم في معركة، أو يشارك

^{٢٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٦٧، بترقيم الشاملة آليا)

في قتال..إن ذلك المجاهد هو الذي يدعى للجهاد،ويقبل في صفوف المجاهدين..أما أولئك المترددون،الذين يأخذون الجانب الهينّ اللين من كل أمر،فلا مكان لهم في هذا المقام الكريم،الذي هو مقام الرجال!! قوله تعالى:«وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» بيان كاشف لموقف المجاهد،ومكانته عند الله..فهو في إحدى متزلتين:إما أن يقتل،فيحسب في عداد الشهداء،وإما أن يغلب وينتصر،ويغنم..وهو في كلا الأمرين محمود عند الله،له أجر الشهداء ومتزلة المستشهدين..

وفي قوله تعالى:«فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ» إشارة إلى أن المجاهدين في سبيلهم العاقبة والنصر أبدا..وأن الذين استشهدوا قد كتبوا بدمائهم الزكية الطاهرة وثيقة النصر للجبهة المقاتلين فيها..فالمجاهدون إما شهداء،وإما منتصرون..

ومعنى هذا ألا يتحول المجاهدون عن الجهاد،وألا يتركوا المعركة إلّا ومعهم النصر الذي وعدهم الله،وجعله جزاء معجلا لهم..ولهذا جاءت القسمة هكذا:«فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ» ولم تجيء كما يقضى به ظاهر الأمر..«فيقتل» أو يسلم!^{٢٨}

^{٢٨} - التفسير القرآني للقرآن (٣/ ٨٣٤)

من لطف الله بعباده أن لا يقطع عنهم رحمته، ولا يغلق عنهم أبوابها. بل من حصل منه غير ما يليق أمره ودعاه إلى جبر نقصه وتكميل نفسه، فلهذا أمر هؤلاء بالإخلاص والخروج في سبيله فقال: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ} هذا أحد الأقوال في هذه الآية وهو أصحها.

وقيل: إن معناه: فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الكاملو الإيمان، الصادقون في إيمانهم {الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ} أي: يبيعون الدنيا رغبة عنها بالآخرة رغبة فيها.

فإن هؤلاء الذين يوجه إليهم الخطاب لأنهم الذين قد أعدوا أنفسهم ووطنوها على جهاد الأعداء، لما معهم من الإيمان التام المقتضي لذلك. وأما أولئك المشاغلون، فلا يعبأ بهم خرجوا أو قعدوا، فيكون هذا نظير قوله تعالى: {قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا} إلى آخر الآيات. وقوله: {فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيُؤْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ} وقيل: إن معنى الآية: فليقاتل المقاتل والمجاهد للكفار الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، فيكون على هذا الوجه "الذين" في محل نصب على المفعولية. {وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} بأن يكون جهادا قد أمر الله به ورسوله، ويكون العبد مخلصا لله فيه

قاصدا وجه الله. {فَيُقْتَلُ أَوْ يَغْلِبُ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} زيادة في إيمانه ودينه، وغنيمة، وثناء حسنا، وثواب المجاهدين في سبيل الله الذين أعد الله لهم في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.^{٢٩}

فليقاتل في سبيل الله - فالإسلام لا يعرف قتالا إلا في هذا السبيل. لا يعرف القتال للغنيمة ولا يعرف القتال للسيطرة. ولا يعرف القتال للمجد الشخصي أو القومي! إنه لا يقاتل للاستيلاء على الأرض ولا للاستيلاء على السكان.. لا يقاتل ليجد الخامات للصناعات، والأسواق للمنتجات أو لرؤوس الأموال يستثمرها في المستعمرات وشبه المستعمرات! إنه لا يقاتل لمجد شخص. ولا لمجد بيت. ولا لمجد طبقة. ولا لمجد دولة، ولا لمجد أمة، ولا لمجد جنس. إنما يقاتل في سبيل الله. لإعلاء كلمة الله في الأرض. ولتمكين منهجه من تصريف الحياة. ولتمتع البشرية بخيرات هذا المنهج، وعدله المطلق «بين الناس» مع ترك كل فرد حرا في اختيار العقيدة التي يقتنع بها.. في ظل هذا المنهج الرباني الإنساني العالمي العام..

وحين يخرج المسلم ليقاتل في سبيل الله، بقصد إعلاء كلمة الله، وتمكين منهجه في الحياة. ثم يقتل..

^{٢٩} - تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٨٦)

يكون شهيدا. وينال مقام الشهداء عند الله.. وحين يخرج لأي هدف آخر - غير هذا الهدف - لا يسمى «شهيدا» ولا ينتظر أجره عند الله، بل عند صاحب الهدف الآخر الذي خرج له.. والذين يصفونه حينئذ بأنه «شهيد» يفترون على الله الكذب ويزكون أنفسهم أو غيرهم بغير ما يزكي به الله الناس. افتراء على الله! فليقاتل في سبيل الله - بهذا التحديد.. من يريدون أن يبيعوا الدنيا ليشتروا بها الآخرة. ولهم - حينئذ - فضل من الله العظيم في كلتا الحالتين: سواء من يقتل في سبيل الله ومن يغلب في سبيل الله أيضا: «وَمَنْ يُقَاتِلْ - فِي سَبِيلِ اللَّهِ - فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ، فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا»..

بهذه اللمسة يتجه المنهج القرآني إلى رفع هذه النفوس وإلى تعليقها بالرجاء في فضل الله العظيم، في كلتا الحالتين. وأن يهون عليها ما تخشاه من القتل، وما ترجوه من الغنime كذلك! فالحياة أو الغنime لا تساوي شيئا إلى جانب الفضل العظيم من الله. كما يتجه إلى تنفيرها من الصفقة الخاسرة إذا هي اشترت الدنيا بالآخرة ولم تشتت الآخرة بالدنيا (ولفظ يشري من ألفاظ الضد فهي غالبا بمعنى يبيع) فهي خاسرة سواء غنموا أو لم يغنموا في معارك الأرض. وأين

الدنيا من الآخرة؟ وأين غنيمة المال من فضل الله؟ وهو يحتوي المال - فيما يحتويه - ويحتوي سواه؟^{٣٠}

ظَاهِرُ الْآيَةِ يَفْتَضِي التَّسْوِيَةَ بَيْنَ مَنْ قُتِلَ شَهِيدًا أَوْ انْقَلَبَ غَانِمًا. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرِ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ، لَوْثُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ لَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَعْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلَ»^{٣١}.

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَا أَنْ

^{٣٠} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ١٠٥٧)

^{٣١} - صحيح مسلم (٣/ ١٤٩٥) - ١٠٣ - (١٨٧٦)

رَجَالًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلَا أَجِدُ مَا
أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ
أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»^{٣٢}

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اتَّذَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي
سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانُ بِي وَتَصَدِيقُ بِرُسُلِي، أَنْ أَرْجِعَهُ بِمَا نَالَ
مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا
قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ
أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»^{٣٣}

وعن أبي سلمة، وسعيد بن المسيب، أن أبا هريرة قال: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَا أَنَّ رَجُلًا يَكْرَهُونَ
أَنْ يَتَخَلَّفُوا بَعْدِي، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ، مَا تَخَلَّفْتُ، لَوَدِدْتُ أَنِّي

^{٣٢} - صحيح البخاري (١٧/٤) (٢٧٩٧)

[ش (لا تطيب نفوسهم) يسيئهم. (أن يتخلفوا عني) لا يخرجوا معي ويقعدوا خلافي في
المدينة لعدم توفر النفقة لديهم أو السلاح أو العتاد. (ما أحملهم عليه) من مركب وغيره.
(سرية) قطعة من الجيش. (لوددت) أحببت ورغبت]

^{٣٣} - صحيح البخاري (١٦/١) (٣٦) [ش (اتذنب) تكفل أو سارع بثوابه وحسن
جزائه. (أن أرجعه) أي إلى بلده إن لم يستشهد. (بما نال) مع ما أصاب وأعطى. (أو
أدخله الجنة) بلا حساب إن استشهد. (ما قعدت خلف سرية) ما تخلفت عن سرية وهي
القطعة من الجيش. (لوددت) أحببت ورغبت]

أُقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ»^{٣٤}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَعْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ، إِلَّا تَعَجَّلُوا ثَلَاثِي أَجْرِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَيَبْقَى لَهُمُ الثَّلَاثُ، وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً، تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ»^{٣٥} (فَقَوْلُهُ: نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ) يَفْتَضِي أَنْ لِمَنْ يُسْتَشْهَدُ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ، إِمَّا الْأَجْرُ إِنْ لَمْ يَنْعَمْ، وَإِمَّا الْغَنِيمَةُ وَلَا أَجْرَ، بِخِلَافِ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو، وَلَكَمَا كَانَ هَذَا قَالَ قَوْمٌ: حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو لَيْسَ بِشَيْءٍ، لِأَنَّ فِي إِسْنَادِهِ حُمَيْدَ بْنَ هَانِئٍ وَلَيْسَ بِمَشْهُورٍ، وَرَجَّحُوا الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ عَلَيْهِ لِشُهْرَتِهِ. وَقَالَ آخَرُونَ: لَيْسَ بَيْنَهُمَا تَعَارُضٌ وَلَا اخْتِلَافٌ. وَ (أَوْ) فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِمَعْنَى الْوَاوِ، كَمَا يَقُولُ الْكُوفِيُّونَ وَقَدْ دَلَّتْ عَلَيْهِ رِوَايَةُ أَبِي دَاوُدَ فَإِنَّهُ قَالَ فِيهِ: (مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ) بِالْوَاوِ وَالْجَامِعَةِ. وَقَدْ رَوَاهُ بَعْضُ رُوَاةِ مُسْلِمٍ بِالْوَاوِ الْجَامِعَةِ أَيْضًا. وَحُمَيْدُ بْنُ هَانِئٍ مِصْرِيٌّ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَبْلِيَّ وَعَمْرُو ابْنَ مَالِكٍ، وَرَوَى عَنْهُ حَيَّوَةُ بْنُ شَرِيحٍ وَابْنُ وَهْبٍ، فَالْحَدِيثُ الْأَوَّلُ

^{٣٤} - صحيح البخاري (٩/ ٨٢) (٧٢٢٦)

^{٣٥} - صحيح مسلم (٣/ ١٥١٤) (١٥٣) - (١٩٠٦)

مَحْمُولٌ عَلَى مُجَرَّدِ النِّيَّةِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الْجِهَادِ، فَذَلِكَ الَّذِي ضَمِنَ
اللَّهُ لَهُ إِمَّا الشَّهَادَةَ، وَإِمَّا رَدَّهُ إِلَى أَهْلِهِ مَأْجُورًا غَانِمًا، وَيُحْمَلُ الثَّانِي
عَلَى مَا إِذَا نَوَى الْجِهَادَ وَلَكِنْ مَعَ تَيْلِ الْمَعْنَمِ، فَلَمَّا انْقَسَمَتْ نِيَّتُهُ
انْحَطَّ أَجْرُهُ، فَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى أَنَّ لِلْغَانِمِ أَجْرًا كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ
الْكِتَابُ فَلَا تَعَارُضَ. ثُمَّ قِيلَ: إِنَّ نَقْصَ أَجْرِ الْغَانِمِ عَلَى مَنْ يَعْنَمُ إِنَّمَا
هُوَ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا فَتَمَتَّعَ بِهِ وَأَزَالَ عَنْ نَفْسِهِ شُظْفَ
عَيْشِهِ، وَمَنْ أَخْفَقَ فَلَمْ يُصِبْ شَيْئًا بَقِيَ عَلَى شُظْفِ عَيْشِهِ وَالصَّبْرِ
عَلَى حَالَتِهِ، فَبَقِيَ أَجْرُهُ مُوَفَّرًا بِخِلَافِ الْأَوَّلِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ
الْآخِرِ عَنْ حَبَابِ بْنِ الْأَرْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ نَبْتَعِي وَجْهَ اللَّهِ، فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، وَمِنَّا مَنْ مَضَى، أَوْ
ذَهَبَ، لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، كَانَ مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قَتَلَ
يَوْمَ أُحُدٍ، لَمْ يَتْرُكْ إِلَّا نَمْرَةً، كُنَّا إِذَا غَطَيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ
رِجْلَاهُ، وَإِذَا غُطِّيَ بِهَا رِجْلَاهُ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «غَطُّوا
بِهَا رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ الْإِذْخِرَ»، أَوْ قَالَ: «الْقُؤَا عَلَى رِجْلَيْهِ
مِنَ الْإِذْخِرِ» وَمِنَّا مَنْ قَدْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدُبُهَا".^{٣٦}

^{٣٦} - صحيح البخاري (٩٥/٥) (٤٠٤٧) وصحيح مسلم (٢/٦٤٩) ٤٤ - (٩٤٠)

وتفسير القرطبي (٥/٢٧٧)

[ش (فوجب أجرنا على الله) معناه وجوب إنجاز وعد بالشرع لا وجوب العقل (لم يأكل من أجره شيئاً) معناه لم توسع عليه الدنيا ولم يعجل له شيء من جزاء عمله (إلا

الرابعة - لن يضل أعمالهم:

قال الله تعالى: { فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦) } [محمد].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقِصُوا وَهَذُبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأُحْدِثُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدْلُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا" ٣٧

نمرة) النمرة شملة فيها خطوط بيض وسود أو برده من صوف تلبسها الأعراب (الإذخر) هو حشيش معروف طيب الرائحة (ومنا من أينعت ثمرته) أي أدركت ونضجت يقال ينع الثمر وأينع ينعا وينوعا فهو يانع (فهو يهدى) أي يجتنبها وهذا استعارة لما فتح عليهم من الدنيا] وانظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩ / ٤٠٠١) وشرح السنة للبغوي (٥ / ٣٢٠)

٣٧ - صحيح البخاري (٣ / ١٢٨) (٢٤٤٠)

يُرْشِدُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَى وُجُوبِ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
 بِاللَّهِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِهِ حَتَّى يَنْخَذِلَ الشِّرْكَ وَأَهْلُهُ، وَيُبَيِّنَ لَهُمْ
 الْأَسْلُوبَ الَّذِي يَعْتَمِدُونَهُ فِي قِتَالِهِمْ فَيَقُولُ تَعَالَى: إِذَا لَقِيتُمُ الْمُشْرِكِينَ
 فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ فَاحْصِدُوهُمْ حَصْدًا بِالسُّيُوفِ، حَتَّى إِذَا تَمَّتْ لَكُمْ
 الْعَلْبَةُ عَلَيْهِمْ، وَقَهَرْتُمْ مَنْ تَبَقَّى مِنْهُمْ حَيًّا، وَصَارُوا أَسْرَى فِي
 أَيْدِيكُمْ، شُدُّوا وَثَاقُهُمْ لِكَيْلَا يَعْمَدُوا إِلَى الْحَرْبِ، أَوْ الْعَوْدَةِ إِلَى
 الْقِتَالِ، وَبَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ فَأَنْتُمْ بِالْخِيَارِ بَيْنَ الْمَنْ عَلَيْهِمْ وَإِطْلَاقِ
 سَرَاحِهِمْ بِدُونِ فِدَاءٍ، وَبَيْنَ مُفَادَاتِهِمْ. وَقَدْ تَكُونُ الْمَفَادَةُ بِمَالٍ يُؤْخَذُ
 مِنْهُمْ لِإِضْعَافِ شَوْكَتِهِمْ، وَقَدْ تَكُونُ بِأَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَهَذِهِ
 هِيَ السُّنَّةُ فِي قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَالْكَفَّارِ حَتَّى تَنْتَهِيَ الْحَرْبُ وَتَضَعَ
 أَوْزَارَهَا، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُمْ بِعُقُوبَةٍ عَاجِلَةٍ لَفَعَلَ، وَلَكَفَاكُمْ
 أَمْرَهُمْ، وَلَكِنَّهُ شَرَعَ الْجِهَادَ، وَقِتَالَ الْأَعْدَاءِ، لِيُخْتَبِرَ الْمُؤْمِنِينَ وَصَبْرَهُمْ
 عَلَى الْقِتَالِ، وَيُخْتَبِرَ الْمُشْرِكِينَ، فَيُعَاقِبَ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ بِأَيْدِي
 الْمُؤْمِنِينَ، وَيَتَّعِظَ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ وَيَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ. وَاللَّهُ يَجْزِي

[ش (حبسوا) أوقفوا. (بقنطرة) كل شيء ينصب على طرفي واد أو جانبي نهر ونحوه.
 (فيتقاصون) من القصاص والمعنى يتراضون فيما بينهم ويتسامحون عما كان لبعضهم من
 تبعات على بعض. (نقوا وهذبوا) خلصوا من جميع الآثام ولم يبق على أحدهم أية تبعة
 من التنقية وهي تمييز الجيد من الرديء والتهذيب وهو التخليص. (أدل) أكثر دلالة
 وأعرف]

الشَّهَدَاءَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِهِ تَعَالَى، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَيُثَمِّرُ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَيُنْمِيهَا لَهُمْ. وَسَيَهْدِي اللَّهُ الشُّهَدَاءَ فِي سَبِيلِهِ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَيُصْلِحُ حَالَهُمْ فِي الْآخِرَةِ. وَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ الْجَنَّةَ، فَيَجِدُ كُلُّ وَاحِدٍ فِيهَا مَقَرَّهُ لَا يُضِلُّ فِي طَلَبِهِ، وَكَأَنَّهُ يَعْرِفُهُ مِنْ قَبْلُ.^{٣٨}

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ». هو تنويه خاص بشأن الذين يستشهدون في سبيل الله. فهؤلاء الشهداء لن يضل الله أعمالهم، بل سيقمها على طريقه المستقيم، حيث تنزل منازل الرضا والقبول من الله رب العالمين.. فهم داخلون أولاً في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ» ثم هم محتصون ثانياً بهذا الذكر، الذي يقيمهم بعد موتهم، مقام الأحياء، الذين لم يفارقوا هذه الدنيا، وذلك بإصلاح بالهم، على حين يقيمهم مقام أهل الجنة قبل أن يدخلها أحد غيرهم، فهم ساعون إلى الجنة، آخذون طريقهم التي يعرفونها، إليها، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» (آل عمران) قوله تعالى: «سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ» - هو بيان لقوله

^{٣٨} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٤٢٨، بترقيم الشاملة آليا)

تعالى: «وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ». أي أن الله سبحانه وتعالى سيهدي الذين قتلوا في سبيل الله، ويقيم بين أيديهم من أعمالهم الدليل الذي يأخذ بهم إلى الجنة التي أعدها الله لهم، وعرفهم الطريق إليها.. وهذا مثل قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» (٩: يونس). فأعمل الشهداء، مستتيرة مبصرة، تعرف طريقها إلى مقام الرضا والقبول، وأصحاب هذه الأعمال، وهم الشهداء، يتبعون أعمالهم تلك، ويأخذون طريقهم على هديها، حيث تنتظرهم عند الله في جنات النعيم التي أعدها سبحانه لأصحاب هذه الأعمال الطيبة كما يقول سبحانه: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ» (١٢: الحديد) فالذى يسعى بين أيديهم هو هذا النور المشع مما في إيمانهم، وهو سجل أعمالهم، التي صارت كتباً تناولوها بأيديهم اليمنى.^{٣٩}

{وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} لهم ثواب جزيل، وأجر جميل، وهم الذين قاتلوا من أمروا بقتالهم، لتكون كلمة الله هي العليا. فهؤلاء لن يضل الله أعمالهم، أي: لن يحبطها ويطلها، بل يتقبلها وينميها

^{٣٩} - التفسير القرآني للقرآن (١٣ / ٣١٨)

لهم، ويظهر من أعمالهم نتائجها، في الدنيا والآخرة. {سَيَهْدِيهِمْ} إلى سلوك الطريق الموصلة إلى الجنة، {وَيُصْلِحْ بِأَلَهُمْ} أي: حالهم وأموالهم، وثوابهم يكون صالحا كاملا لا نكد فيه، ولا تنغيص بوجه من الوجوه. {وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ} أي: عرفها أولا بأن شوقهم إليها، ونبعتها لهم، وذكر لهم الأعمال الموصلة إليها، التي من جعلتها القتل في سبيله، ووقفهم للقيام بما أمرهم به ورغبهم فيه، ثم إذا دخلوا الجنة، عرفهم منازلهم، وما احتوت عليه من النعيم المقيم، والعيش السليم.^{٤٠}

إننا نقف أمام هذه الحقيقة الهائلة.. حقيقة حياة الشهداء في سبيل الله.. فهي حقيقة مقررة من قبل في قوله تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ».. ولكنها تعرض هنا عرضا جديدا. تعرض في حالة امتداد ونماء في طريقها الذي غادرت الحياة الدنيا وهي تسلكه وتتوخاه. طريق الطاعة والهداية والتجرد والنقاء: «سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحْ بِأَلَهُمْ»..

فالله ربهم الذي قتلوا في سبيله، يظل يتعهدهم بالهداية - بعد الاستشهاد - ويتعهدهم بإصلاح البال، وتصفية الروح من بقية أوشاب الأرض أو يزيد لها صفاء لتتناسق مع صفاء الماء الأعلى

^{٤٠} - تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٨٥)

الذي صعدت إليه، وإشراقه وسناه. فهي حياة مستمرة في طريقها لم تنقطع إلا فيما يرى أهل الأرض المحجوبون. وهي حياة يتعهد بها الله ربها في الملاء الأعلى. ويزيدها هدى. ويزيدها صفاء، ويزيدها إشراقاً. وهي حياة نامية في ظلال الله. وأخيراً يحقق لهم ما وعدهم: «وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَها لَهُمْ». فهذا تعريف الله الجنة للشهداء في سبيله. وهذه هي نهاية الهداية الممتدة، وإصلاح البال المستأنف بعد مغادرتهم لهذه الأرض. ونماء حياتهم وهداهم وصلاحتهم هناك عند الله.^{٤١}

الخامسة - التجارة التي لن تبور:

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) } [الصف]

^{٤١} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٤٠٩٧)

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَالْمُصَدِّقُونَ بِرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ وَآيَاتِهِ، أَلَا تُرِيدُونَ
أَنْ أَذْلَكُكُمْ عَلَى صَفْقَةٍ رَابِحَةٍ، وَتِجَارَةٍ نَافِعَةٍ، تَفُوزُونَ فِيهَا بِالرَّبِّحِ
الْعَظِيمِ، وَتُنْقَذُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟
وَهَذِهِ الصَّفْقَةُ هِيَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَتَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ، وَتَصَدِّقُوا بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، وَمَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَتُجَاهِدُوا
فِي سَبِيلِ رَفْعِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَعِزَّةِ دِينِهِ، بِأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ
ذَلِكَ، كَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَكُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا: مِنَ النَّفْسِ
وَالْمَالِ وَالزَّوْجِ وَالْوَلَدِ، هَذَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِعِبَادِهِ
الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُجَاهِدِينَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ فِي
جَنَّاتِ النَّعِيمِ. وَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ سَتَرَ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ وَمَحَاها، وَأَدْخَلَكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا، وَأَسْكَنَكُمْ مَسَاكِينَ طَيِّبَةً تَقَرُّ بِهَا
الْعُيُونُ، وَهَذَا هُوَ مُنْتَهَى مَا تَصْبُؤُوا إِلَيْهِ النَّفُوسُ، وَهُوَ الْفَوْزُ الَّذِي لَا
فَوْزَ أَعْظَمَ مِنْهُ. وَلَكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
تَعَالَى، مَعَ الْفَوْزِ فِي الْآخِرَةِ، الَّذِي وَعَدَكُمْ اللَّهُ بِهِ، نِعْمَةٌ أُخْرَى
تُحِبُّونَهَا، وَهِيَ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ، وَفَتْحٌ قَرِيبٌ، تَحْنُونَ مَعَانِمَهُ، وَبَشَّرَ يَا
مُحَمَّدُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذَا الْجَزَاءِ.^{٤٢}

^{٤٢} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٠٥١، بترقيم الشاملة آليا)

هو نداء من الله سبحانه وتعالى إلى هؤلاء المؤمنين،الذين استجابوا لله ولرسوله،ودانوا بهذا الدين،وهو دعوة لهم إلى تجارة تنجيهم من عذاب أليم في الدنيا والآخرة..

قوله تعالى:«تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ».هو بيان لهذه التجارة التي دعا الله سبحانه وتعالى المؤمنين إليها،وأمرهم بالاتجار فيها..وهى الإيمان بالله وبرسول الله،والجهاد فى سبيل الله بالأموال والأنفس..

ففى هذه التجارة الربح العظيم،والخير العميم،الذي يقع لأيدى المتجرين بها،لو كانوا يعلمون ما يكون لهم من ورائها،من خير.. ودعوة المؤمنين إلى الإيمان بالله ورسوله،هو دعوة إلى إيمان خالص من الرب،مبرأ من الشرك..فليس كل من دخل فى الإيمان كان مؤمناً حقاً..

وسمى هذا الإيمان،وهذا الجهاد،تجارة،لأن التجارة عطاء وأخذ،وأعيان تقدم للبيع،وثن يؤخذ فى مقابل هذه الأعيان..والمؤمنون بالله ورسوله،يقدمون أموالا وأنفسا،ويأخذون فى مقابل ما يقدمون ما يجزيهم الله سبحانه وتعالى عليه،من رضوان،وجنات لهم فيها نعيم مقيم..وهذا ما يشير إليه قوله

تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ.. فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (١١١: التوبة) ..

وقوله تعالى: «يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».. هو جواب لشرط مقدر دل عليه ما في الآية السابقة من الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله.. أي إن استجبت لهذه الدعوة التي دعيتم إليها- أيها المؤمنون- يغفر الله لكم ذنوبكم. ويسترها عليكم، فلا ترونها بعد أن محاهها الله، وطهركم منها بمغفرته، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، ويترككم فيها مساكن طيبة، تطيب لكم الحياة فيها، فلا تتحولون عنها أبدا.. وذلك هو الفوز العظيم، الذي لا يعدله فوز، فيما عرفتم في الحياة الدنيا..

قوله تعالى: «وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» أي ولكم مع هذا الفوز العظيم بجنات النعيم في الآخرة- رغبة أخرى تحبونها، وتتطلعون إليها، تلك هي ما ستلقون من نصر من الله، ومن فتح قريب، بما يفتح الله لكم في هذه الدنيا

من فتوح، وما يمكن لكم من نصر على أعدائكم.. وقد حقق الله للمؤمنين ما وعدهم به من نصر وفتح، فقد انتصروا على أعدائهم من المشركين وللكافرين، وفتحوا معقل الشرك، ودانت لهم مواطن المشركين، فيما وقع لهؤلاء المؤمنين من فتح خير، ومن إجلاء اليهود من المدينة، ومن فتح مكة.. ثم ما تلا ذلك من فتوح لمملكتي الفرس والروم..

وقوله تعالى: «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ».. هو أمر سماوى من الله سبحانه وتعالى للنبي الكريم أن يبشر المؤمنين بهذا الوعد الذي وعدهم الله إياه، وأن يكشف لهم عن مواقع هذا النصر والفتح القريب.. وقد بشّر النبي الكريم أصحابه بما سيلقاهم على طريق الإسلام من نصر وفتح.. وفى هذا ما يدخل الطمأنينة والرضاء على قلوب المؤمنين، ويمدّهم بأمداد السكينة والصبر على ما كانوا يعانون من شدة وضيق، وما كانوا يلقون من كيد وبلاء..^{٤٣}

هذه وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة، وأجل مطلوب، وأعلى مرغوب، يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم.

^{٤٣} - التفسير القرآني للقرآن (١٤ / ٩٣٦)

وأتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر، ويسمو إليه كل لبيب، فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟ فقال {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}.

ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به، المستلزم لأعمال الجوارح، ومن أجل أعمال الجوارح الجهاد في سبيل الله فلهذا قال: {وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} بأن تبدلوا نفوسكم ومهجكم، لمصادمة أعداء الإسلام، والقصد نصر دين الله وإعلاء كلمته، وتنفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب، فإن ذلك، ولو كان كريها للنفوس شاقا عليها، فإنه {خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} فإن فيه الخير الدنيوي، من النصر على الأعداء، والعز المنافي للذل والرزق الواسع، وسعة الصدر وانسراحه.

وفي الآخرة الفوز بثواب الله والنجاة من عقابه، ولهذا ذكر الجزاء في الآخرة، فقال: {يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} وهذا شامل للصغائر والكبائر، فإن الإيمان بالله والجهاد في سبيله، مكفر للذنوب، ولو كانت كبائر.

{وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} أي: من تحت مساكنها [وقصورها] وغرفها وأشجارها، أنهار من ماء غير

آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة
للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل
الثمار، {وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ} أي: جمعت كل
طيب، من علو وارتفاع، وحسن بناء وزخرفة، حتى إن أهل الغرف
من أهل عليين، يتراءاهم أهل الجنة كما يتراءى الكوكب الدرّي في
الأفق الشرقي أو الغربي، وحتى إن بناء الجنة بعضه من لبن ذهب
[وبعضه من] لبن فضة، وخيامها من اللؤلؤ والمرجان، وبعض المنازل
من الزمرد والجواهر الملونة بأحسن الألوان، حتى إنها من صفائها
يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وفيها من الطيب
والحسن ما لا يأتي عليه وصف الواصفين، ولا خطر على قلب أحد
من العالمين، لا يمكن أن يدركوه حتى يروه، ويتمتعوا بحسنه وتقر
أعينهم به، ففي تلك الحالة، لولا أن الله خلق أهل الجنة، وأنشأهم
نشأة كاملة لا تقبل العدم، لأوشك أن يموتوا من الفرح، فسبحان
من لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه
وفوق ما يثني عليه عباده وتبارك الجليل الجميل، الذي أنشأ دار
النعيم، وجعل فيها من الجلال والجمال ما يبهر عقول الخلق ويأخذ
بأفئدتهم.

وتعالى من له الحكمة التامة، التي من جملتها، أنه الله لو أرى الخلائق الجنة حين خلقها ونظروا إلى ما فيها من النعيم لما تخلف عنها أحد، ولما هناهم العيش في هذه الدار المنغصة، المشوب نعيمها بآلمها، وسرورها بترحها.

وسميت الجنة جنة عدن، لأن أهلها مقيمون فيها، لا يخرجون منها أبداً، ولا ييغون عنها حولا ذلك الثواب الجزيل، والأجر الجميل، الفوز العظيم، الذي لا فوز مثله، فهذا الثواب الأخرى.

وأما الثواب الدنيوي لهذه التجارة، فذكره بقوله: {وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا} أي: ويحصل لكم خصلة أخرى تحبونها وهي: {نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ} [لكم] على الأعداء، يحصل به العز والفرح، {وَفَتْحٌ قَرِيبٌ} تتسع به دائرة الإسلام، ويحصل به الرزق الواسع، فهذا جزاء المؤمنين المجاهدين، وأما المؤمنون من غير أهل الجهاد، [إذا قام غيرهم بالجهاد] فلم يؤيسهم الله تعالى من فضله وإحسانه، بل قال: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} أي: بالثواب العاجل والآجل، كل على حسب إيمانه، وإن كانوا لا يبلغون مبلغ المجاهدين في سبيل الله، كما قال النبي ﷺ: "إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدتها الله للمجاهدين في سبيله" ^{٤٤}

^{٤٤} - تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٦٠)

يبدأ بالنداء باسم الإيمان: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا».. يليه الاستفهام الموحى. فالله - سبحانه - هو الذي يسألهم ويشوقهم إلى الجواب: «هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ؟».. ومن ذا الذي لا يشاق لأن يدلّه الله على هذه التجارة؟ وهنا تنتهي هذه الآية، وتنفصل الجملتان للتشويق بانتظار الجواب المرموق. ثم يجيء الجواب وقد ترقبته القلوب والأسماع: «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ».. وهم مؤمنون بالله ورسوله. فتشرق قلوبهم عند سماع شطر الجواب هذا المتحقق فيهم! «وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ».. وهو الموضوع الرئيسي الذي تعالجه السورة، يجيء في هذا الأسلوب، ويكرر هذا التكرار، ويساق في هذا السياق. فقد علم الله أن النفس البشرية في حاجة إلى هذا التكرار، وهذا التنويع، وهذه الموحيات، لتنهض بهذا التكليف الشاق، الضروري الذي لا مفر منه لإقامة هذا المنهج وحراسته في الأرض...

ثم يعقب على عرض هذه التجارة التي دلهم عليها بالتحسين والتزيين: «ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ».. فعلم الحقيقة يقود من يعلم إلى ذلك الخير الأكيد.. ثم يفصل هذا الخير في آية تالية

مستقلة، لأن التفصيل بعد الإجمال يشوق القلب إليه، ويقره في الحس ويمكن له: «يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ».. وهذه وحدها تكفي. فمن ذا الذي يضمن أن يغفر له ذنبه ثم يتطلع بعدها إلى شيء؟ أو يدخر في سبيلها شيئاً؟ ولكن فضل الله ليست له حدود: «وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ».. وإنما لأربح تجارة أن يجاهد المؤمن في حياته القصيرة - حتى حين يفقد هذه الحياة كلها - ثم يعوض عنها تلك الجنات وهذه المساكن في نعيم مقيم.. وحقاً.. «ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»..

وكأنما ينتهي هنا حساب التجارة الراجحة. وإنه لربح ضخم هائل أن يعطي المؤمن الدنيا ويأخذ الآخرة. فالذي يتجر بالدرهم فيكسب عشرة يغطه كل من في السوق. فكيف بمن يتجر في أيام قليلة معدودة في هذه الأرض، ومتاع محدود في هذه الحياة الدنيا، فيكسب به خلوداً لا يعلم له نهاية إلا ما شاء الله، ومتاعاً غير مقطوع ولا ممنوع؟

لقد تمت المبايعة على هذه الصفقة بين رسول الله - ﷺ - وعبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - ليلة العقبة. عَنْ قَتَادَةَ، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ

مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ {
[الصف: ١٤] قَالَ: قَدْ كَانَتْ لِلَّهِ أَنْصَارٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ تُجَاهِدُ عَلَى
كِتَابِهِ وَحَقِّهِ. وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ بَايَعَهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنَ
الْأَنْصَارِ، ذَكَرَ لَنَا أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ عَلَامَ تُبَايَعُونَ هَذَا
الرَّجُلَ؟ إِنَّكُمْ تُبَايَعُونَ عَلَى مُحَارَبَةِ الْعَرَبِ كُلِّهَا أَوْ يُسَلِّمُوا. وَذَكَرَ
لَنَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ اشْتَرِطْ لِرَبِّكَ وَلِنَفْسِكَ مَا
شِئْتَ، قَالَ: «أَشْتَرِطُ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَشْتَرِطُ
لِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا مَنَعْتُمْ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ». قَالُوا: فَلِذَا
فَعَلْنَا ذَلِكَ، فَمَا لَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَكُمْ النَّصْرُ فِي الدُّنْيَا، وَالْجَنَّةُ
فِي الْآخِرَةِ». فَفَعَلُوا، فَفَعَلَ اللَّهُ^{٤٥}

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ} [التوبة: ١١١] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَكَبَّرَ النَّاسُ
فِي الْمَسْجِدِ فَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ثَانِيًا طَرَفِي رِدَائِهِ عَلَى أَحَدِ
عَاتِقَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْزَلْتَ هَذِهِ الْآيَةَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» فَقَالَ
الْأَنْصَارِيُّ: بَيْعٌ رَيْحٌ لَا نَقِيلٌ وَلَا نَسْتَقِيلُ^{٤٦}

^{٤٥} - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٢ / ٦٢٠) صحيح مرسل

^{٤٦} - تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا (٦ / ١٨٨٦) صحيح

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، وَغَيْرِهِ، قَالُوا: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "اشْتَرِطُ لِرَبِّكَ وَنَفْسِكَ مَا شِئْتَ قَالَ: «أَشْتَرِطُ
لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَشْتَرِطُ لِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي
مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ» قَالُوا: فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ فَمَاذَا
لَنَا؟ قَالَ: «الْحَنَّةُ» قَالُوا: رِيحَ الْبَيْعِ لَا نَقِيلُ وَلَا نَسْتَقِيلُ فَنَزَلَتْ: {إِنْ
اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: ١١١].. الْآيَةُ "٤٧

ولكن فضل الله عظيم. وهو يعلم من تلك النفوس أهما تتعلق بشيء
قريب في هذه الأرض، يناسب تركيبها البشري المحدود. وهو
يستجيب لها فيبشرها بما قدره في علمه المكنون من إظهار هذا
الدين في الأرض، وتحقيق منهجه وهيمنته على الحياة في ذلك
الجيل: «وَأُخْرَى تَحْبُوْنَهَا: نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ. وَبَشَرُ
الْمُؤْمِنِينَ».. وهنا تبلغ الصفقة ذروة الريح الذي لا يعطيه إلا الله. الله
الذي لا تنفذ خزائنه، والذي لا ممسك لرحمته. فهي المغفرة والجنان
والمساكن الطيبة والنعيم المقيم في الآخرة. وفوقها.. فوق البيعة
الراجعة والصفقة الكاسية النصر والفتح القريب.. فمن الذي يدلله الله
على هذه التجارة ثم يتقاعس عنها أو يحمدها؟! وهنا يعن للنفس
خاطر أمام هذا الترغيب والتحييب.. إن المؤمن الذي يدرك حقيقة

٤٧ - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٢ / ٧) صحيح لغيره

التصور الإيمانى للكون والحياة ويعيش بقلبه فى هذا التصور ويطلع على آفاه وآماده ثم ينظر للحياة بغير إيمان، فى حدودها الضيقة الصغيرة، وفى مستوياتها المأبوضة الواطئة، وفى اهتماماتها الهزيلة الزهيدة.. هذا القلب لا يطيق أن يعيش لحظة واحدة بغير ذلك الإيمان، ولا يتردد لحظة واحدة فى الجهاد لتحقيق ذلك التصور الضخم الواسع الرفيع فى عالم الواقع، ليعيش فيه، وليرى الناس من حوله يعيشون فيه كذلك.. ولعله لا يطلب على جهاده هذا أجرا خارجا عن ذاته. فهو ذاته أجر.. هذا الجهاد.. وما يسكبه فى القلب من رضى وارتياح. ثم إنه لا يطيق أن يعيش فى عالم بلا إيمان. ولا يطيق أن يقعد بلا جهاد لتحقيق عالم يسوده الإيمان. فهو مدفوع دفعا إلى الجهاد. كائننا مصيره فيه ما يكون..^{٤٨}

السادسة - يرجون رحمة الله:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (٢١٨) سورة البقرة

^{٤٨} - فى ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٤٤٤٧)

إِنَّ الَّذِينَ صَدَقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَبِقَوْلِهِ: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا} [البقرة: ٢١٨] الَّذِينَ هَجَرُوا مُسَاكِنَةَ الْمُشْرِكِينَ فِي أَمْصَارِهِمْ، وَمُجَاوَرَتَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ، فَتَحَوَّلُوا عَنْهُمْ، وَعَنْ جَوَارِهِمْ وَبِلَادِهِمْ إِلَى غَيْرِهَا، هَجْرَةً. لَمَّا انْتَقَلَ عَنْهُ إِلَى مَا انْتَقَلَ إِلَيْهِ. وَأَصْلُ الْمُهَاجَرَةِ الْمُفَاعَلَةُ، مِنْ هَجَرَةِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ لِلشَّحْنَاءِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ تُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ مَنْ هَجَرَ شَيْئًا لِأَمْرٍ كَرِهَهُ مِنْهُ. وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُهَاجِرِينَ لِمَا وَصَفْنَا مِنْ هَجَرَتِهِمْ دُورَهُمْ وَمَنَازِلِهِمْ كَرَاهَةً مِنْهُمْ النُّزُولَ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ وَفِي سُلْطَانِهِمْ، بِحَيْثُ لَا يَأْمَنُونَ فِتْنَتَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي دِيَارِهِمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَأْمَنُونَ ذَلِكَ وَأَمَّا قَوْلُهُ: {وَجَاهِدُوا} [البقرة: ٢١٨] فَإِنَّهُ يَعْنِي: وَقَاتِلُوا، وَحَارَبُوا وَأَصْلُ الْمُجَاهَدَةِ الْمُفَاعَلَةُ، مِنْ قَوْلِ الرَّجُلِ: قَدْ جَهَدَ فُلَانٌ فُلَانًا عَلَى كَذَا، إِذَا كَرَبَهُ وَشَقَّ عَلَيْهِ يَجْهَدُهُ جَهْدًا. فَإِذَا كَانَ الْفِعْلُ مِنْ اثْنَيْنِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُكَابِدُ مَنْ صَاحِبِهِ شِدَّةً، وَمَشَقَّةً، قِيلَ: فُلَانٌ يُجَاهِدُ فُلَانًا، يَعْنِي أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَفْعَلُ بِصَاحِبِهِ مَا يَجْهَدُهُ وَيَشَقُّ عَلَيْهِ، فَهُوَ يُجَاهِدُهُ مُجَاهَدَةً وَجَهَادًا وَأَمَّا سَبِيلُ اللَّهِ: فَطَرِيقُهُ وَدِينُهُ. فَمَعْنَى قَوْلِهِ إِذَا {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [البقرة: ٢١٨] وَالَّذِينَ تَحَوَّلُوا مِنْ سُلْطَانِ أَهْلِ الشِّرْكِ هَجْرَةً

لَهُمْ، وَخَوْفَ فَتَنَتِهِمْ عَلَى أَدْيَانِهِمْ، وَحَارِبُوهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ لِيُدْخِلُوهُمْ فِيهِ، وَفِيمَا يُرْضِي اللَّهَ {أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ} أَيْ يَطْمَعُونَ أَنْ يَرْحَمَهُمُ اللَّهُ فَيُدْخِلَهُمْ جَنَّتهُ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ {وَاللَّهُ غَفُورٌ} [البقرة: ٢١٨] أَيْ سَاتَرَ ذُنُوبَ عِبَادِهِ بِعَفْوِهِ عَنْهَا، مُتَفَضِّلٌ عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ أَيْضًا ذَكَرَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ وَأَصْحَابِهِ^{٤٩}

وَعَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطًا، وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ: إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَصَابُوا وَزَرًا فَلَيْسَ لَهُمْ أَجْرٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} "٥٠"

وَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، قَوْلُهُ: " {أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ} قَالَ: هَؤُلَاءِ خِيَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَهْلَ رَجَاءٍ. إِنَّهُ مَنْ رَجَا طَلَبَ، وَمَنْ خَافَ هَرَبَ "٥١

وَعَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: "أَتَى اللَّهَ عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَحْسَنَ الثَّنَاءِ، فَقَالَ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ

^{٤٩} - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٣/ ٦٦٦)

^{٥٠} - تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا (٢/ ٣٨٨) (٢٠٤٠) صحيح

^{٥١} - تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا (٢/ ٣٨٨) (٢٠٤١) صحيح مقطوع

اللَّهُ أَوْلَيْكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ { هَؤُلَاءِ خِيَارُ هَذِهِ
الْأُمَّةِ، ثُمَّ جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَهْلَ رَجَاءٍ كَمَا تَسْمَعُونَ، وَأَنَّهُ مِنْ رَجَا طَلَبَ
وَمَنْ خَافَ هَرَبَ ٥٢

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: "أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنَ بِمَا أُنْزِلَ مِنَ
الْأَمْرِ، وَفَرَّجَ اللَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ
وَأَصْحَابِهِ، يَعْنِي فِي قَتْلِهِمُ ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَلَمَّا تَجَلَّى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ جَحْشٍ وَأَصْحَابِهِ مَا كَانُوا فِيهِ حِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ، طَعَمُوا فِي
الْأَجْرِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْطَمِعُ أَنْ تَكُونَ لَنَا غَزْوَةٌ تُعْطَى فِيهَا
أَجْرُ الْمُجَاهِدِينَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} فَوَقَفَهُمُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَعْظَمِ الرَّجَاءِ ٥٣

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: "فَلَمَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ أَهْلِ
تِلْكَ السَّرِيَّةِ، مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ غَمٍّ، مَا أَصَابُوا طَمَعُوا فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ
مِنْ ثَوَابِهِ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَنْطَمِعُ لَنَا أَنْ تَكُونَ غَزْوَةٌ تُعْطَى فِيهَا
أَجْرُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

٥٢ - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٣/ ٦٦٨) صحيح

٥٣ - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٣/ ٦٦٨) صحيح مرسل

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ^{٥٤}

يَعِدُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ دَفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمُ الصَّادِقُ إِلَى
الْمُحْرَةِ، وَإِلَى الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِنَصْرِ دِينِ اللَّهِ، وَرَدَّ أَدَى
الْكُفَّارِ، وَإِلَى الصَّبْرِ عَلَى مَا يُصِيبُهُمْ مِنْ أَدَى الْمُشْرِكِينَ فِي سَبِيلِ
عَقِيدَتِهِمْ وَإِيْمَانِهِمْ، بِإِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ: النَّصْرِ أَوْ الشَّهَادَةِ، وَهَؤُلَاءِ
الْمُؤْمِنُونَ الصَّابِرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ رَبِّهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا
يُخَيِّبُ رَجَاءَهُمْ، وَهُوَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ لِلتَّائِبِينَ الْمُسْتَغْفِرِينَ، عَظِيمُ
الرَّحْمَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ.^{٥٥}

هذه الآية تفرد الذين آمنوا وثبتوا على إيمانهم، واجتازوا المحنة، ونجوا
من الفتنة - تفردهم بذكر خاص، وتنوّه بهم، وتدنيهم من رحمة الله
ورضوانه، وذلك في مواجهة أولئك الذين واجهوا المحنة فلم يصبروا
ولم يصابروا، ففروا من ميدان المعركة تاركين دينهم الذي ارتضوه
سلبا ملقى في ساحة الحرب! هذا وفي الآية الكريمة:

أولاً: قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ» فصل بين الذين آمنوا وبين الذين هاجروا وجاهدوا في

^{٥٤} - تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا (٢/٣٨٨) (٢٠٤٢) صحيح مرسل

^{٥٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٢٥، بترقيم الشاملة آليا)

سبيل الله، فلم يجعلهم نسقا واحدا داخلا في صلة الموصول الأول، بل أفردهم بذكر خاص، فكأن الذين آمنوا صنف، والذين هاجروا وجاهدوا صنف آخر.. ولو كانوا صنفا واحدا لجاء النظم هكذا: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا. وَلَكِنْ هَكَذَا جَاءَ نَظْمُ الْقُرْآنِ بِجَلَالِهِ وَرُوعِهِ وَإِعْجَازِهِ، لِيُضَعَ مُوَازِينَ الْحَقِّ فِيَمَا يَقُولُ.. فَالْمُؤْمِنُونَ - مُطْلَقَ الْإِيمَانِ، بِلا هجرة ولا جهاد - هم صنف واحد في المؤمنين. والمؤمنون المهاجرون المجاهدون، هم صنف آخر يختلف عن الصنف الأول بميزات وفضائل.. ويحق لهم بهذه الميزات وتلك الفضائل أن ينوه بهم، ويرفع شأنهم بين المؤمنين. إذ الإيمان بلا عمل نبات لا ظل له، ولا ثمر فيه.

ثانيا: قوله تعالى: «أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ» وضع الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله موضع الرجاء من رحمة الله، ولم يعطهم الثواب والمغفرة والرضوان على القطع والتحقيق، وذلك ليعلمهم من هذا الرجاء على عمل دائم، وجهاد متصل، وهذا على خلاف ما إذا سوى حسابهم بعد الهجرة وبعد كل موقف من مواقف الجهاد، فقد يقعد بهم هذا عن أن يضيفوا جديدا، أو يخففوا للجهاد، مرة بعد مرة.

ثم إنه من جهة أخرى يرى الذين آمنوا - مجرد إيمان - ولم يهاجروا ولم يجاهدوا - يريهم شناعة موقفهم ومغبة تقصيرهم بتخلفهم عن ركب المهاجرين والمجاهدين، ويرفع لأعينهم بعد ما بينهم وبين مواقع رحمة الله ورضوانه، إذ يرون المهاجرين المجاهدين ولما يلمسوا بأيديهم مواقع الرحمة والرضوان، وأنهم ما زالوا على رجاء! فكيف بالذين آمنوا، ولم يهاجروا ولم يجاهدوا؟

إن المدى بعيد بينهم وبين أن يصلوا إلى جانب الأمن والسلامة، وإن عليهم أن يحثوا المطى إلى ميدان الهجرة والجهاد، ليلحقوا بركب المهاجرين المجاهدين، وليكونوا بمعرض من رحمة الله ورضوانه!^{٥٦}

هذه الأعمال الثلاثة، هي عنوان السعادة وقطب رحي العبودية، وبها يعرف ما مع الإنسان، من الريح والخسران، فأما الإيمان، فلا تسأل عن فضيلته، وكيف تسأل عن شيء هو الفاصل بين أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأهل الجنة من أهل النار؟ وهو الذي إذا كان مع العبد، قبلت أعمال الخير منه، وإذا عدم منه لم يقبل له صرف ولا عدل، ولا فرض، ولا نفل.

^{٥٦} - التفسير القرآني للقرآن (١/ ٢٤٢)

وأما الهجرة: فهي مفارقة المحبوب المؤلف، لرضا الله تعالى، فيترك المهاجر وطنه وأمواله، وأهله، وخلاله، تقرباً إلى الله ونصرة لدينه. وأما الجهاد: فهو بذل الجهد في مقارعة الأعداء، والسعي التام في نصرة دين الله، وقمع دين الشيطان، وهو ذروة الأعمال الصالحة، وجزاؤه، أفضل الجزاء، وهو السبب الأكبر، لتوسيع دائرة الإسلام، وخذلان عباد الأصنام، وأمن المسلمين على أنفسهم وأموالهم وأولادهم.

فمن قام بهذه الأعمال الثلاثة على لأوائها ومشقتها كان لغيرها أشد قياماً به وتكميلاً.

فحقيق بمؤلاء أن يكونوا هم الراجون رحمة الله، لأنهم أتوا بالسبب الموجب للرحمة، وفي هذا دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة، وأما الرجاء المقارن للكسل، وعدم القيام بالأسباب، فهذا عجز وتمن وغرور، وهو دال على ضعف همة صاحبه، ونقص عقله، بمنزلة من يرجو وجود ولد بلا نكاح، ووجود الغلة بلا بذر وسقي، ونحو ذلك.

وفي قوله: {أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ} إشارة إلى أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها، ويعول عليها، بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله ومغفرة ذنوبه، وستر عيوبه.

ولهذا قال: {وَاللَّهُ غَفُورٌ} أي: لمن تاب توبة نصوحا {رَحِيمٌ} وسعت رحمته كل شيء، وعم جوده وإحسانه كل حي. وفي هذا دليل على أن من قام بهذه الأعمال المذكورة، حصل له مغفرة الله، إذ الحسنات يذهبن السيئات وحصلت له رحمة الله. وإذا حصلت له المغفرة، اندفعت عنه عقوبات الدنيا والآخرة، التي هي آثار الذنوب، التي قد غفرت واضمحلت آثارها، وإذا حصلت له الرحمة، حصل على كل خير في الدنيا والآخرة؛ بل أعمالهم المذكورة من رحمة الله بهم، فلولا توفيقه إياهم، لم يريدوها، ولولا إقدارهم عليها، لم يقدرُوا عليها، ولولا إحسانه لم يتمها ويقبلها منهم، فله الفضل أولا وآخرا، وهو الذي منّ بالسبب والمسبب.^{٥٧} ورجاء المؤمن في رحمة الله لا يخيبه الله أبدا.. ولقد سمع أولئك النفر المخلص من المؤمنين المهاجرين هذا الوعد الحق، فجاهدوا وصبروا، حتى حقق الله لهم وعده بالنصر أو الشهادة. وكلاهما خير. وكلاهما رحمة. وفازوا بمغفرة الله ورحمته: «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».. وهو هو طريق المؤمنين..^{٥٨}

^{٥٧} - تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٨)

^{٥٨} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٤٦٨)

السابعة - من جاهد في سبيل الله كان من المؤمنين الصادقين:

قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }

(١٥) سورة الحجرات

يُعَرِّفُ اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ الْإِيمَانَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَيَقَرُّ: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِمَانًا حَقًّا هُمُ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَمْ يَشْكُوا، وَلَمْ يَتَزَلُّوا، وَلَمْ يَتَرَدَّدُوا، وَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَفَعَهُ شَأْنُ الْإِسْلَامِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ.^{٥٩}

"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا، يَقُولُ: ثُمَّ لَمْ يَشْكُوا فِي وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِي بُؤَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَالزَمَ نَفْسَهُ طَاعَةَ اللَّهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ، وَالْعَمَلَ بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ بِغَيْرِ شَكٍّ مِنْهُ فِي وَجُوبِ ذَلِكَ عَلَيْهِ { وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [الأنفال: ٧٢] يَقُولُ: جَاهَدُوا الْمُشْرِكِينَ بِإِنْفَاقِ أَمْوَالِهِمْ، وَبَذَلِ مُهْجِهِمْ فِي جِهَادِهِمْ، عَلَى مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ جِهَادِهِمْ، وَذَلِكَ سَبِيلُهُ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ هُمْ

^{٥٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٥٠٦، بترقيم الشاملة آليا)

الصَّادِقُونَ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّا مُؤْمِنُونَ، لَأَنْ دَخَلَ فِي الْمِلَّةِ خَوْفُ
السَّيْفِ لِيَحْتَقِنَ دَمَهُ وَمَالَهُ^{٦٠}

هذا هو الإيمان الذي فات الأعراب أن يحصّـلوه، وتلك حقيقة
المؤمنين التي لم يحققها الأعراب بعد بإسلامهم.. فالمؤمنون، هم
الذين آمنوا بالله ورسوله فتزل هذا الإيمان في قلوبهم منزلة اليقين، لا
يزحزحهم عنه أي عارض من عوارض الحياة، ولا يغيّر وجهه في
قلوبهم ما يلقيهم على طريق الحياة من بأساء وضراء، ثقة منهم
بالله، وركونا إليه، ورضاء بقضائه، وصبرا لحكمه.. «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ
الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا».. هذا هو الإيمان في
صميمه.. أمّا الإيمان الذي يهتزّ كيانه في قلب الإنسان لأي
عارض، ويتضاءل شخصه عند أي بلاء، فهو إيمان غير خالص، بل
هو مشوب بأفات كثيرة من الشك، وسوء الفهم، فإذا وضع على
محك التجربة والامتحان، ظهر ما فيه من ضعف، فلم يحتمل صدمة
التجربة، ولم يصمد أمام تيار الامتحان.

وقوله تعالى: «وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».. وهذا
هو مجال الامتحان لإيمان المؤمنين.. فمن آمن بالله ورسوله، ووقع
منه هذا الإيمان موقع القبول واليقين، لم ينكل عن دعوة الجهاد في

^{٦٠} - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢١ / ٣٩٥)

سبيل الله بماله ونفسه، بل يقدم ماله ونفسه قربانا لله، في رضا وغبطة..

وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن الجهاد بالمال والنفس، هو الميدان الذي يمتحن به إيمان المؤمنين، والذي به تظهر حقيقة ما في قلوبهم من إيمان..

فالمؤمن، قد يصليّ، ويصوم، ويحجّ، ويزكي، ولكنه حين يمتحن في ماله أو نفسه بالجهاد في سبيل الله، يضمن بماله، ويحرص على سلامة نفسه، وعندئذ يعلم حقيقة إيمانه، وأنه لم يستوف حقيقة الإيمان بعد.. والله سبحانه وتعالى يقول: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ» ويقول سبحانه: «أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ..» (٣، ٢: العنكبوت).

وقوله تعالى: «أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ».. هو الوصف الذي يستحقه الذين آمنوا بالله ورسوله ولم يرتابوا، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وهو أنهم مؤمنون حقا.. قد صدق فعلهم قولهم..^{٦١}

^{٦١} - التفسير القرآني للقرآن (١٣ / ٤٥٧)

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ} أي: على الحقيقة {الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أي: من جمعوا بين الإيمان والجهاد في سبيله، فإن من جاهد الكفار، دل ذلك، على الإيمان التام في القلب، لأن من جاهد غيره على الإسلام، والقيام بشرائعه، فجهاده لنفسه على ذلك، من باب أولى وأحرى؛ ولأن من لم يقو على الجهاد، فإن ذلك، دليل على ضعف إيمانه، وشرط تعالى في الإيمان عدم الريب، وهو الشك، لأن الإيمان النافع هو الجزم اليقيني، بما أمر الله بالإيمان به، الذي لا يعتريه شك، بوجه من الوجوه. وقوله: {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} أي: الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الجميلة، فإن الصدق، دعوى كبيرة في كل شيء يدعى يحتاج صاحبه إلى حجة وبرهان، وأعظم ذلك، دعوى الإيمان، الذي هو مدار السعادة، والفوز الأبدي، والفلاح السرمدي، فمن ادعاه، وقام بواجباته، ولوازمه، فهو الصادق المؤمن حقاً، ومن لم يكن كذلك، علم أنه ليس بصادق في دعواه، وليس لدعواه فائدة، فإن الإيمان في القلب لا يطلع عليه إلا الله تعالى.^{٦٢}

فالإيمان تصديق القلب بالله وبرسوله. التصديق الذي لا يرد عليه شك ولا ارتياب. التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذي لا

^{٦٢} - تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٠٢)

يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور. والذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله. فالقلب متى تذوق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، لا بد مندفع لتحقيق حقيقته في خارج القلب. في واقع الحياة. في دنيا الناس. يريد أن يوحد بين ما يستشعره في باطنه من حقيقة الإيمان، وما يحيط به في ظاهره من مجريات الأمور وواقع الحياة. ولا يطيق الصبر على المفارقة بين الصورة الإيمانية التي في حسه، والصورة الواقعية من حوله. لأن هذه المفارقة تؤذيه وتصدمه في كل لحظة. ومن هنا هذا الانطلاق إلى الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس. فهو انطلاق ذاتي من نفس المؤمن. يريد به أن يحقق الصورة الوضيئة التي في قلبه، ليرأها ممثلة في واقع الحياة والناس. والخصومة بين المؤمن وبين الحياة الجاهلية من حوله خصومة ذاتية ناشئة من عدم استطاعته حياة مزدوجة بين تصوره الإيماني، وواقعه العملي. وعدم استطاعته كذلك التنازل عن تصوره الإيماني الكامل الجميل المستقيم في سبيل واقعه العملي الناقص الشائن المنحرف. فلا بد من حرب بينه وبين الجاهلية من حوله، حتى تنثني هذه الجاهلية إلى التصور الإيماني والحياة الإيمانية. «أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ».. الصادقون في عقيدتهم. الصادقون حين يقولون: إنهم

مؤمنون. فإذا لم تتحقق تلك المشاعر في القلب، ولم تتحقق آثارها في واقع الحياة، فالإيمان لا يتحقق. والصدق في العقيدة وفي ادعائها لا يكون. ونقف قليلا أمام هذا الاحتراس المعارض في الآية: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ - ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا -». إنه ليس مجرد عبارة. إنما هو لمس لتجربة شعورية واقعية. وعلاج لحالة تقوم في النفس. حتى بعد إيمانها.. «ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا» وشبيه بها الاحتراس في قوله تعالى.. «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ.. ثُمَّ اسْتَقَامُوا..» فعدم الارتباب. والاستقامة على قوله: ربنا الله. تشير إلى ما قد يعتور النفس المؤمنة - تحت تأثير التجارب القاسية، والابتلاءات الشديدة - من ارتباب ومن اضطراب. وإن النفس المؤمنة لتضطرم في الحياة بشدائد تزلزل، ونوازل تزعزع. والتي تثبت فلا تضطرب، وتثق فلا ترتاب، وتظل مستقيمة موصولة هي التي تستحق هذه الدرجة عند الله. والتعبير على هذا النحو ينبه القلوب المؤمنة إلى مزالق الطريق، وأخطار الرحلة، لتعزم أمرها، وتحتسب، وتستقيم، ولا ترتاب عندما يدلم الأفق، ويظلم الجو، وتناوحها العواصف والرياح!^{٦٣}

الثامنة - من قاتل في سبيل الله فهو من الأخيار والأبرار:

^{٦٣} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٤١٩٤)

قال تعالى: { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) } آل عمران

فِي هَذِهِ الْآيَةِ يُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا وَقَعَ فِي نُفُوسِهِمْ يَوْمَ أَحَدٍ، فَقَالَ لَهُمْ: كَمْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ وَهُوَ يُقَاتِلُ، وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَاتُ كَثِيرَةٍ (رِيشُونَ) مِمَّنْ آمَنُوا بِهِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَمَا وَهِنُوا، وَمَا ضَعُفُوا بَعْدَ قَتْلِ النَّبِيِّ، وَمَا اسْتَكَانُوا، وَمَا اسْتَدَلُّوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ دِينِهِ، وَإِنَّمَا صَبَرُوا عَلَى قِتَالِ الْأَعْدَاءِ، وَلَمْ يَهْرَبُوا مُوَلِّينَ الْأَدْبَارِ، لِأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنََّّهُمْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا فِي سَبِيلِ نَبِيِّهِمْ، فَعَلَيْكُمْ أَثَرُهَا الْمُسْلِمُونَ أَنْ تَعْتَبِرُوا بِأُولَئِكَ الرَّبِّيِّينَ، وَتَصْبِرُوا كَمَا صَبَرُوا فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ وَاحِدٌ، وَسُنَّتُهُ فِي خَلْقِهِ وَاحِدَةٌ. فَاحْتَسِبْ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ (الرِّيشُونَ) اللَّهُ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْخَطْبِ، وَهُمْ يُقَاتِلُونَ أَعْدَاءَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ قَوْلٍ عِنْدَ نُزُولِ الْكَوَارِثِ إِلَّا الدُّعَاءُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ بِجِهَادِهِمْ مَا كَانُوا أَلْمُوا بِهِ مِنْ ذُنُوبٍ، وَتَجَاوَزُوا فِيهِ حُدُودَ

الشَّرَائِعِ، وَأَنْ يُثَبَّتَ أَقْدَامُهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ الْقَوِيمِ، حَتَّى لَا تُزَحِّزَهُمُ
الْفِتْنُ، وَلَا يَعْرِوَهُمُ الْفَشَلُ حِينَ مُقَابَلَةِ الْأَعْدَاءِ فِي سَاحَةِ
الْحَرْبِ. فَآتَاهُمُ اللَّهُ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَهُمَا ثَوَابُ
الدُّنْيَا، وَجَمَعَ لَهُمْ، إِلَى ذَلِكَ الظَّفَرِ، حُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ الْفَوْزُ
بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ الْعَمَلَ، لِأَنَّهُمْ
يُقِيمُونَ سُنَّتَهُ فِي أَرْضِهِ، وَيُظْهِرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ أَنَّهُمْ
جَادِرُونَ بِخِلَافَةِ اللَّهِ فِيهَا.^{٦٤}

فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ كَانَ مِنَ اللَّهِ، هَذَا الْعِتَابُ الرَّفِيقُ، الَّذِي يَحْمِلُ
الْإِعْتَابَ وَالرِّضَا، وَيَسُوقُ الْإِحْسَانَ وَالرَّحْمَةَ، وَيَبْعَثُ فِي صُدُورِ
الْمُسْلِمِينَ دَفْعَ الْأَمَلِ بِالنَّصْرِ لِلْإِسْلَامِ، وَالْإِعْزَازَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَيَجِدُونَ
فِي هَذَا كُلِّهِ الْعِزَّاءَ الْجَمِيلَ لِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ جِرَاحٍ، فِي أَجْسَامِهِمْ، وَلَمَّا
وَقَعَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ مَرَارَةِ الْهَزِيمَةِ، وَعَلَوْ يَدَ الْكَافِرِينَ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ
الْمَعْرَكَةِ، مَعْرَكَةُ أَحَدٍ..

وَهُنَا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «وَكَايْنِ مِنْ نَبِيٍّ قَاتِلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ» صُورَةٌ
أُخْرَى مِنْ صُورِ الْعِزَّاءِ وَالتَّسْرِيَةِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، بِمَا تَحْمِلُ إِلَيْهِمْ
كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ مَوَاقِفِ الْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ، لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْأُمَمِ الَّتِي
خَلَتْ، مِمَّنْ صَدَّقَ الرِّسْلَ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

^{٦٤} - أَيْسَرُ التَّفَاسِيرِ لِأَسْعَدِ حَوْمَدٍ (ص: ٤٣٩، بِتَرْقِيمِ الشَّامِلَةِ أَلْيَا)

والرَّيُّون: جمع رَبِّيَّ، وهو من آمن بالله، وأضاف نفسه إلى ربه، متوكلاً عليه، مستقيماً على صراطه.

فكثير من هؤلاء المؤمنين من أتباع الرسل، كانوا مع الأنبياء مجاهدين في سبيل الله، لم يهنوا ولم يضعفوا، مهما نزل بهم من شدائد أو وقع عليهم من بلاء. وهؤلاء هم مَن يُحِبُّ الصَّابِرِينَ» وفي قوله تعالى: «وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه موقف المجاهدين الصابرين، حين يكرهم الكرب، ويشتد بهم البلاء.. لا يذكرون غير الله، ولا يلتفتون إلا إليه، طالبين عفوه ومغفرته، وثبتت أقدامهم في موطن الجهاد، حتى لا تتزع بهم نفوسهم إلى أن يولوا الأدبار، وأن يطلبوا السلامة والنجاة.

وفي طلبهم أن يغفر الله لهم ذنوبهم، وإسرافهم في أمرهم- أي خروجهم عن سواء السبيل في بعض أحوالهم- في طلبهم هذا، وفي جعله مفتتح دعائهم، اعتراف ضمنى بأن شيئاً ما دخل على إيمانهم، فأدخل الوهن والضعف عليهم- وإن لم يهنوا ولم يضعفوا- وباعد بينهم وبين النصر المرجو على عدوهم.. فهم في هذا الدعاء

يضرعون إلى الله أن يغفر لهم ذنوبهم، وأن يتجاوز عن سيئاتهم، فإذا استجاب الله لهم ذلك، طهرت نفوسهم، واستقامت طريقهم إلى الله، واشتد قربهم منه، وكان لهم أن يطلبوا إلى الله أن يثبت أقدامهم، وأن يمسك بهم على هذا الطريق الذي استقاموا عليه..

وهذه الحال التي تنكشف عن موقف المؤمنين من أتباع الرسل تلقى على المؤمنين الذين شهدوا أحدا ظلالا من الاتهام، واللوم، والعتاب، لما وقع في نفوس بعضهم، وما جرى على ألسنة بعض آخر.. من وساوس الشك والريبة..

فقال قائل: «أَتَى هَذَا؟» (آل عمران: ١٦٥) وقال آخرون: «لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا» (آل عمران: ١٥٤).. لقد نظروا هؤلاء وأولئك إلى غير ما كان ينبغي أن ينظروا إليه.. لقد نظروا إلى غيرهم، وألقوا باللائمة عليه.. ولم ينظروا إلى أنفسهم ليجتنبوا عما وقع فيها من خلل، كما كان يفعل المؤمنون قبلهم من أتباع الرسل، حين تنزل بهم الشدائد، وتتوالى عليهم الحن.

وفي قوله تعالى: «فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» مشهد كريم، يعرض على أنظار المسلمين، لمن آمن بالله واستقام على طريقة، حتى إذا استشعر أن يد الله قد تراخت عنه، اتهم نفسه، وأيقن أن خلاا وقع في صلته

بالله، فبادر فأصلحه، وصالح الله، فوجد العفو والمغفرة، ثم أصاب النصر والظفر..

وهؤلاء المؤمنون الذين جاهدوا مع رسل الله، وكان شأنهم عند اشتداد المحن، وقسوة البلاء، العودة إلى الله بإصلاح أنفسهم- هؤلاء قد أعزّهم الله في الدنيا، فكتب لهم النصر على عدوهم، وأجزل لهم المثوبة والرضوان في الآخرة، لما كان منهم من صبر على البلاء، وثبات في وجه الموت.^{٦٥}

لقد كانت الهزيمة في «أحد»، هي أول هزيمة تصدم المسلمين، الذين نصرهم الله ببدر وهم ضعاف قليل فكأنما وقر في نفوسهم أن النصر في كل موقعة هو السنة الكونية. فلما أن صدمتهم أحد، فوجئوا بالابتلاء كأنهم لا ينتظرونه! ولعله لهذا طال الحديث حول هذه الواقعة في القرآن الكريم. واستطرد السياق يأخذ المسلمين بالتأسية تارة، وبالاستنكار تارة، وبالتقرير تارة، وبالمثل تارة، تربية لنفوسهم، وتصحيحاً لتصورهم، وإعداداً لهم. فالطريق أمامهم طويل، والتجارب أمامهم شاقة، والتكاليف عليهم باهظة، والأمر الذي يندبون له عظيم.

^{٦٥} - التفسير القرآني للقرآن (٢ / ٦٠٨)

والمثل الذي يضربه لهم هنا مثل عام، لا يحدد فيه نبيا، ولا يحدد فيه قوما. إنما يربطهم بموكب الإيمان ويعلمهم أدب المؤمنين ويصور لهم الابتلاء كأنه الأمر المطرد في كل دعوة وفي كل دين ويربطهم بأسلافهم من أتباع الأنبياء ليقرر في حسهم قرابة المؤمنين للمؤمنين ويقر في أحلادهم أن أمر العقيدة كله واحد.

وأهم كتيبة في الجيش الإيماني الكبير: «وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ. فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا».... وكم من نبي قاتلت معه جماعات كثيرة. فما ضعفت نفوسهم لما أصابهم من البلاء والكرب والشدة والجراح. وما ضعفت قواهم عن الاستمرار في الكفاح، وما استسلموا للجزع ولا للأعداء.. فهذا هو شأن المؤمنين، المنافحين عن عقيدة ودين..

«وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ».. الذين لا تضعف نفوسهم، ولا تتضعضع قواهم، ولا تلين عزائمهم، ولا يستكينون أو يستسلمون..

والتعبير بالحب من الله للصابرين. له وقعه. وله إيجاؤه. فهو الحب الذي يأسو الجراح، ويمسح على القرع، ويعوض ويربو عن الضرر والقرع والكفاح المرير!

وإلى هنا كان السياق قد رسم الصورة الظاهرة لهؤلاء المؤمنين في موقفهم من الشدة والابتلاء. فهو يمضي بعدها ليرسم الصورة

الباطنة لنفوسهم ومشاعرهم. صورة الأدب في حق الله، وهم يواجهون الهول الذي يذهل النفوس، ويقيدها بالخطر الراهق لا تتعداه. ولكنه لا يذهل نفوس المؤمنين عن توجهه إلى الله.. لا لتطلب النصر أول ما تطلب - وهو ما يتبادر عادة إلى النفوس - ولكن لتطلب العفو والمغفرة، ولتعترف بالذنب والخطيئة، قبل أن تطلب الثبات والنصر على الأعداء: «وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».. إنهم لم يطلبوا نعمة ولا ثراء. بل لم يطلبوا ثوابا ولا جزاء.. لم يطلبوا ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة. لقد كانوا أكثر أدبا مع الله، وهم يتوجهون إليه، بينما هم يقاتلون في سبيله. فلم يطلبوا منه - سبحانه - إلا غفران الذنوب، وتثبيت الأقدام.. والنصر على الكفار. فحتى النصر لا يطلبونه لأنفسهم إنما يطلبونه هزيمة للكفر وعقوبة للكفار.. إنه الأدب اللائق بالمؤمنين في حق الله الكريم.

وهؤلاء الذين لم يطلبوا لأنفسهم شيئا، أعطاهم الله من عنده كل شيء. أعطاهم من عنده كل ما يتمناه طلاب الدنيا وزيادة. وأعطاهم كذلك كل ما يتمناه طلاب الآخرة ويرجونه: «فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا، وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ»..

وشهد لهم - سبحانه - بالإحسان. فقد أحسنوا الأدب وأحسنوا
الجهاد، وأعلن حبه لهم. وهو أكبر من النعمة وأكبر من
الثواب: «وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»..
وهكذا تنتهي هذه الفقرة في الاستعراض وقد تضمنت تلك
الحقائق الكبيرة في التصور الإسلامي. وقد أدت هذا الدور في تربية
الجماعة المسلمة. وقد ادخرت هذا الرصيد للأمة المسلمة في كل
جيل..^{٦٦}

التاسعة - المغفرة والرحمة والحشر إلى الله

قال تعالى: { وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ
وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ
تُحْشَرُونَ (١٥٨) } [آل عمران]

فَالَّذِينَ يُقْتَلُونَ وَهُمْ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَنَصْرِ
دِينِهِ، أَوْ يَمُوتُونَ فِي أَثْنَاءِ الْجِهَادِ، سَيَجِدُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ مَغْفِرَةً تَمْحُو
مَا كَانَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَرَحْمَةً وَرِضْوَانًا خَيْرًا مِنْ جَمِيعِ مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ
الْكُفَّارُ مِنَ الْمَالِ وَالْمَتَاعِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، فَهَذَا ظِلُّ زَائِلٌ، وَذَلِكَ
نَعِيمٌ خَالِدٌ. وَبِأَيِّ سَبَبٍ كَانَ هَلَاكُكُمْ، فَإِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ

^{٦٦} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٧٩١)

لِيَجْزِيَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ مَا تَسْتَحِقُّونَ، فَآثَرُوا مَا يُقَرِّبُكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، وَيُحَقِّقْ لَكَ رِضَاهُ، فَعَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ.^{٦٧}
لَا تَكُونُوا أَتِّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي شَكٍّ مِنْ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ، وَأَنَّ إِلَيْهِ الْإِحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةُ، كَمَا شَكَّ الْمُنَافِقُونَ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنْ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَاتِلُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ عَلَى يَقِينٍ مِنْكُمْ بِأَنَّهُ لَا يُقْتَلُ فِي حَرْبٍ، وَلَا يَمُوتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا مَنْ بَلَغَ أَجَلُهُ وَحَاصَتْ وَقَاتُهُ، ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَى جِهَادِهِمْ فِي سَبِيلِهِ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ مَوْتًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَتْلًا فِي اللَّهِ خَيْرٌ لَهُمْ مِمَّا يَجْمَعُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ حُطَامِهَا وَرَغِيدِ عَيْشِهَا الَّذِي مِنْ أَجَلِهِ يَتَنَاقِلُونَ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَتَأَخَّرُونَ عَنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ: {وَلَنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [آل عمران: ١٥٧] «أَيُّ أَنْ الْمَوْتَ كَائِنْ لَا بُدَّ مِنْهُ، فَمَوْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ قَتْلٌ خَيْرٌ لَوْ عَلِمُوا فَأَيَّقُوا مِمَّا يَجْمَعُونَ فِي الدُّنْيَا الَّتِي لَهَا يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الْجِهَادِ، تَخَوُّفًا مِنَ الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ لِمَا جَمَعُوا مِنْ زَهِيدِ الدُّنْيَا وَزَهَادَةٍ فِي الْآخِرَةِ» وَإِنَّمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [آل عمران: ١٥٧] وَابْتَدَأَ الْكَلَامَ: {وَلَنْ قُتِلْتُمْ أَوْ مُتُّمْ} [آل عمران: ١٥٨] بِحَذْفِ جَزَاءِ

^{٦٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٥٠، بترقيم الشاملة آليا)

«لَئِنْ» لَأَنَّ فِي قَوْلِهِ [ص: ١٨٣]: {لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [آل عمران: ١٥٧] مَعْنَى جَوَازٍ لِلْجَزَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ وَعْدٌ خَرَجَ مَخْرَجَ الْخَبَرِ. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ، لَيَغْفِرَنَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَيَرْحَمَنَّكُمْ، فَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: {لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [آل عمران: ١٥٧] وَجَمَعَ مَعَ الدَّلَالَةِ بِهِ عَلَيْهِ الْخَبَرُ عَنْ فَضْلِ ذَلِكَ عَلَى مَا يُؤْتِرُونَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا يَجْمَعُونَ فِيهَا. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَنَّهُ إِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ: {لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ} [آل عمران: ١٥٧] جَوَابًا لِقَوْلِهِ: {وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ} [آل عمران: ١٥٧]؟ فَإِنَّ الْقَوْلَ فِيهِ أَنْ يُقَالَ فِيهِ: كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ، فَذَكَرَ لَهُمْ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ وَمَغْفِرَةً، إِذْ كَانَ ذَلِكَ فِي السَّبِيلِ، فَقَالَ: {لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ} [آل عمران: ١٥٧] يَقُولُ: لِذَلِكَ {خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [آل عمران: ١٥٧] يَعْنِي لِتِلْكَ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ، وَدَخَلَتْ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ: {لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ} [آل عمران: ١٥٧] لِدُخُولِهَا فِي قَوْلِهِ: «وَلَئِنْ»، كَمَا قِيلَ: {وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَنَّ الْأَدْبَارُ} [الحشر: ١٢]

وَلَيْنَ مِثْمَ أَوْ قُتِلْتُمْ أَتَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَإِنَّ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعَكُمْ
وَمَحْشَرَكُمْ، فَيُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، فَاتَرَوْا مَا يُقَرِّبُكُمْ مِنَ
اللَّهِ، وَيُوجِبُ لَكُمْ رِضَاهُ، [ص: ١٨٤] وَيُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، مِنَ
الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ عَلَى الرُّكُونِ إِلَى الدُّنْيَا، وَمَا
تَجْمَعُونَ فِيهَا مِنْ حُطَامِهَا الَّذِي هُوَ غَيْرُ بَاقٍ لَكُمْ، بَلْ هُوَ زَائِلٌ
عَنْكُمْ، وَعَلَى تَرْكِ طَاعَةِ اللَّهِ وَالْجِهَادِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُبْعِدُكُمْ عَنْ
رَبِّكُمْ، وَيُوجِبُ لَكُمْ سَخَطَهُ، وَيُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ.^{٦٨}

فالموت أو القتل في سبيل الله - بهذا القيد، وبهذا الاعتبار - خير
من الحياة، وخير مما يجمعه الناس في الحياة من أعراضها الصغار: من
مال ومن جاه ومن سلطان ومن متاع. خير بما يعقبه من مغفرة الله
ورحمته، وهي في ميزان الحقيقة خير مما يجمعون. وإلى هذه المغفرة
وهذه الرحمة يكل الله المؤمنين.. إنه لا يكلهم - في هذا المقام - إلى
أعجاد شخصية، ولا إلى اعتبارات بشرية. إنما يكلهم إلى ما عند
الله، ويعلق قلوبهم برحمة الله. وهي خير مما يجمع الناس على
الإطلاق، وخير مما تتعلق به القلوب من أعراض..

وكلهم مرجعون إلى الله، محشورون إليه على كل حال. ماتوا على
فراشهم أو ماتوا وهم يضربون في الأرض، أو قتلوا وهم يجاهدون

^{٦٨} - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٦) / ١٨١

في الميدان. فما لهم مرجع سوى هذا المرجع وما لهم مصير سوى هذا المصير.. والتفاوت إذن إنما يكون في العمل والنية وفي الاتجاه، والاهتمام.. أما النهاية فواحدة: موت أو قتل في الموعد المحتوم، والأجل المقسوم. ورجعة إلى الله وحشر في يوم الجمع والحشر.. ومغفرة من الله ورحمة، أو غضب من الله وعذاب.. فأحق الحمقى من يختار لنفسه المصير البائس. وهو ميت على كل حال! بذلك تستقر في القلوب حقيقة الموت والحياة، وحقيقة قدر الله. وبذلك تطمئن القلوب إلى ما كان من ابتلاء جرى به القدر وإلى ما وراء القدر من حكمة، وما وراء الابتلاء من جزاء.. وبذلك تنتهي هذه الجولة في صميم أحداث المعركة، وفيما صاحبها من ملايسات..^{٦٩}



^{٦٩} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ط ١ - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٨٠٤)

المبحث الثاني

جزاؤهم في السنة النبوية

الأولى: لا يدخل أحد الجنة ويجب أن يخرج منها، ولو أعطي ما في الدنيا جميعاً، إلا الشهيد

فإنه يتمنى أن يردده الله إلى الدنيا، ليقتل في سبيل الله، لما يرى من فضل الشهادة وكرامة الشهيد. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ»^{٧٠}.

قال ابن الملك: جاز كونه عظيمًا على أن يرجع؛ أي ما يحب أن يرجع، ولا أن يكون له شيء في الدنيا، وكونه حالًا؛ أي لا يحب الرجوع حال كونه مالكًا لكثير من أمتعة الدنيا والبساتين والأماكن والرقاب اه. والظاهر هو الثاني، وأن له جميع ما في الأرض؛ لأن من شيء يبان لما فيفيد الاستعراق (إلا الشهيد): بالرفع على أنه

^{٧٠} - صحيح البخاري (٢٢ / ٤) (٢٨١٧) وصحيح مسلم (٣ / ١٤٩٨) ١٠٩ - (١٨٧٧)

[ش (ما على الأرض من شيء) الدنيا وما فيها. (لما يرى من الكرامة) لأجل ما يراه من فضل الشهادة]

بَدَلٌ مِنْ أَحَدٍ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ بِالنَّصْبِ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ
(يَتَمَنَّى): أَيُّ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى (أَنْ يُرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ
مَرَّاتٍ): الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْكَثْرَةُ (لَمَّا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ): أَيُّ
كَرَامَةِ الشَّهَادَةِ، وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَتَمَنَّى شَيْئًا مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا
إِلَّا الشَّهَادَةَ، وَهِيَ لَيْسَتْ مِنْهَا فَيَكُونُ مِنْ قَبِيلٍ: وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ
أَنْ سَيُوفَهُمْ ٧١ ۝

وَعَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ
ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ، لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، يَسْرُهُ أَنْ يُرْجَعَ إِلَى
الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدَ لَمَّا يَرَى مِنْ فَضْلِ
الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسْرُهُ أَنْ يُرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى» ٧٢

وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ
الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟، فَيَقُولُ: أَرَى خَيْرَ
مَنْزِلٍ، فَيُقَالُ لَهُ: سَلْ، وَتَمَنَّ، فَيَقُولُ: مَا أَسْأَلُكَ؟، وَمَا أَتَمَنَّى إِلَّا أَنْ أُرَدَّ
إِلَى الدُّنْيَا، فَأُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لَمَّا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ
٧٣ ۝

٧١ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٤٦٣)

٧٢ - صحيح البخاري (٤/ ١٧) (٢٧٩٥)

[ش (له عند الله خير) ثواب مدخر على عمل صالح عمله في الدنيا]

٧٣ - مستخرج أبي عوانة (٤/ ٤٥٨) (٧٣٣٠) صحيح

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فيَقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فيَقُولُ لَهُ: يَا رَبِّ، خَيْرَ الْمَنْزِلِ، فيَقُولُ لَهُ: سَلْ وَتَمَنَّ، فيَقُولُ: مَا أَسْأَلُ وَمَا أَتَمَنَّى إِلَّا أَنْ تُرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، وَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فيَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فيَقُولُ: يَا رَبِّ شَرَّ مَنْزِلٍ. فيَقُولُ لَهُ: فَتَفْتَنِدِي مِنْهُ بِطِلَاعِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، فيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، نَعَمْ، فيَقُولُ لَهُ: كَذَبْتَ، قَدْ سَأَلْتَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ لَمْ تَفْعَلْ، فيُردُّ إِلَى النَّارِ" ٧٤

وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ خَرَّاشٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِي: «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَشْهَدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا. فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ" قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ

٧٤ - البعث والنشور للبيهقي (ص: ٣٢٨) (٦٠٠) صحيح

الآية: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا} [آل عمران: ١٦٩].^{٧٥}

وعن ابن أبي عميرة أن رسول الله ﷺ قال: «مَا فِي النَّاسِ مِنْ نَفْسٍ مَسْلَمَةٍ يَقْبِضُهَا رَبُّهَا تُحِبُّ أَنْ تَرْجَعَ إِلَيْكُمْ، وَأَنْ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا غَيْرَ الشَّهِيدِ» قَالَ ابْنُ أَبِي عَمِيرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي أَهْلُ الْوَبَرِ وَالْمَدَرِ»^{٧٦}

الثانية: الشهادة في سبيل الله تكفر ما على العبد من الذنوب التي بينه وبين الله

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ، قال «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ»^{٧٧}
«يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ» (أَيُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ (إِلَّا الدِّينَ): أَرَادَ حُقُوقَ الْأَدَمِيِّينَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ فَإِنَّهَا لَا تُغْفَى بِالشَّهَادَةِ، كَذَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الشُّرَاحِ، وَقَالَ ابْنُ الْمَلَكِ: قِيلَ هَذَا فِي شَهْدَاءِ الْبَرِّ لَمَّا رَوَى ابْنُ مَاجَهَ عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «شَهِيدُ الْبَحْرِ مِثْلُ

^{٧٥} - سنن الترمذي ت شاكر (٥ / ٢٣١) (٣٠١٠) صحيح

^{٧٦} - السنن الكبرى للنسائي (٤ / ٢٩٣) (٤٣٤٦) صحيح

^{٧٧} - صحيح مسلم (٣ / ١٥٠٢) ١١٩ - (١٨٨٦)

شَهِيدِي الْبَرِّ، وَالْمَائِدُ فِي الْبَحْرِ كَالْمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ فِي الْبَرِّ، وَمَا
 بَيْنَ الْمَوْجَتَيْنِ كَقَاطِعِ الدُّنْيَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّ
 مَلَكَ الْمَوْتِ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ إِلَّا شَهِيدَ الْبَحْرِ، فَإِنَّهُ يَتَوَلَّى قَبْضَ
 أَرْوَاحِهِمْ وَيَغْفِرُ لِشَهِيدِ الْبَرِّ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، إِلَّا الدِّينَ وَلِشَهِيدِ الْبَحْرِ
 الذُّنُوبَ وَالِدِّينَ»^{٧٨}

قَالَ الطَّبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنْ قُلْتُ: قَدْ سَبَقَ أَنْ حُقِّقَ اللَّهُ مَبْنَاهَا عَلَى
 الْمُسَاهَلَةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ حُقُوقُ الْآدَمِيِّينَ فِي قَوْلِهِ: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ
 كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ»، وَهَاهُنَا جَعَلَهُ دُونَ الْكِبَائِرِ فَمَا وَجْهُ التَّوْفِيقِ؟
 قُلْتُ: قَدْ وَجَّهْنَاهُ أَنَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ تَحْذِيرًا وَتَوْفِيقًا عَنِ الدِّينِ
 وَهَذَا مُجَرَّى عَلَى ظَاهِرِهِ اهـ^{٧٩}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْقَتْلُ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدِّينَ»^{٨٠}.

^{٧٨} - سنن ابن ماجه (٢/٩٢٨)(٢٧٧٨) ضعيف جدا ومرواة المفاتيح شرح مشكاة

المصاييح (٥/١٩٥٨)

(والمائد) هو الذي يدار برأسه من ربح البحر واضطراب السفينة بالأمواج ومابين
 الموجتين) أي قاطع ما بين الموجتين من المسافة. (إلا الدين) أي إلا ترك وفاء الدين إذ
 نفس الدين ليس من الذنوب.

^{٧٩} - مرواة المفاتيح شرح مشكاة المصاييح (٥/١٩٦٢)

^{٨٠} - صحيح مسلم (٣/١٥٠٢) - ١٢٠ - (١٨٨٦)

فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجِهَادَ بِشَرَطٍ أَنْ يَكُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ
الْإِحْتِسَابِ وَعَدَمِ الْإِنْهَزَامِ مِنْ مُكْفَرَاتِ جَمِيعِ الذُّنُوبِ
وَالْخَطَايَا، فَيَكُونُ الشَّهِيدُ بِالشَّهَادَةِ مُسْتَحِقًّا لِلْمَغْفِرَةِ الْعَامَّةِ إِلَّا مَا
كَانَ مِنَ الدُّيُونِ اللَّازِمَةِ لِلْأَدَمِيِّينَ فَإِنَّهَا لَا تُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ وَلَا تَسْقُطُ
عَنْهُ بِمَجَرَّدِ الشَّهَادَةِ وَذَلِكَ لِكَوْنِهِ حَقًّا لِأَدَمِيٍّ، وَسُقُوطُهُ إِنَّمَا يَكُونُ
بِرِضَاهُ وَاخْتِيَارِهِ، وَلِهَذَا امْتَنَعَ - ﷺ - مِنْ الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ عَلَيْهِ دَيْنٌ
كَمَا تَقَدَّمَ فِي الضَّمَانَةِ. وَيَلْحَقُ بِالذَّيْنِ مَا كَانَ حَقًّا لِأَدَمِيٍّ مِنْ دَمٍ
أَوْ عَرَضٍ بِجَامِعٍ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ حَقٌّ لِأَدَمِيٍّ يَتَوَقَّفُ سُقُوطُهُ عَلَى
إِسْقَاطِهِ.^{٨١}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: "الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ
كُلَّهَا إِلَّا الْأَمَانَةَ، قَالَ: يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَيُقَالُ: أَدَّ أَمَانَتَكَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبٍّ، كَيْفَ وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا؟
قَالَ: فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْهَوَايَةِ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى الْهَوَايَةِ، وَيُمَثَّلُ لَهُ
أَمَانَتُهُ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ دُفِعَتْ إِلَيْهِ، فَيَرَاهَا فَيَعْرِفُهَا فَيَهْوِي فِي أَثَرِهَا حَتَّى
يُذَرِكُهَا، فَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنْكَبِيهِ حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ خَارِجٌ زَلَّتْ عَنْ
مَنْكَبِيهِ، فَهُوَ يَهْوِي فِي أَثَرِهَا أَبَدَ الْأَبَدِينَ، ثُمَّ قَالَ: الصَّلَاةُ
أَمَانَةٌ، وَالْوُضُوءُ أَمَانَةٌ، وَالْوِزْنُ أَمَانَةٌ، وَالْكَيْلُ أَمَانَةٌ، وَأَشْيَاءُ

^{٨١} - نيل الأوطار (٧/ ٢٦٢)

عَدَدَهَا، وَأَعْظَمُ ذَلِكَ الْوَدَائِعُ "فَلَقِيتُ الْبِرَاءَ بْنَ عَازِبٍ فَقُلْتُ: أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ؟ قَالَ: كَذَا" قَالَ، كَذَا قَالَ، صَدَقَ أَمَا سَمِعْتَ يَقُولُ اللَّهُ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء: ٥٨] ^{٨٢}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا أَوْ قَالَ: يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْأَمَانَةَ؛ يُؤْتَى بِصَاحِبِ الْأَمَانَةِ، فَيَقَالُ لَهُ: أَدِّ أَمَانَتَكَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبٍّ وَقَدْ ذَهَبَتْ الدُّنْيَا، ثَلَاثًا؛ فَيَقَالُ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى الْهََاوِيَةِ، فَيَذْهَبُ بِهِ إِلَيْهَا، فَيَهْوِي فِيهَا حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى قَعْرِهَا، فَيَجِدُهَا هُنَاكَ كَهَيْئَتِهَا، فَيَحْمِلُهَا، فَيَضَعُهَا عَلَى عَاتِقِهِ، فَيَصْعَدُ بِهَا إِلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ زَلَّتْ، فَهَوَى فِي أَثَرِهَا أَبَدَ الْأَبَدِينَ" قَالُوا: وَالْأَمَانَةُ فِي الصَّلَاةِ، وَالْأَمَانَةُ فِي الصَّوْمِ، وَالْأَمَانَةُ فِي الْحَدِيثِ؛ وَأَشَدُّ ذَلِكَ الْوَدَائِعُ "فَلَقِيتُ الْبِرَاءَ فَقُلْتُ: أَلَا تَسْمَعُ إِلَى مَا يَقُولُ أَخُوكَ عَبْدُ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «صَدَقَ» ^{٨٣}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا - أَوْ قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ - إِلَّا الْأَمَانَةَ، وَالْأَمَانَةُ فِي

^{٨٢} - شعب الإيمان (٧/ ٢٠٨) (٤٨٨٥) صحيح

^{٨٣} - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٩ / ٢٠٢) صحيح

الصَّلَاةِ، وَالْأَمَانَةُ فِي الصَّوْمِ، وَالْأَمَانَةُ فِي الْحَدِيثِ، فَأَشَدُّ ذَلِكَ الْوَدَائِعُ
٨٤١١

وقال القرطبي في التفسير: الدِّينُ الَّذِي يُحْبَسُ بِهِ صَاحِبُهُ عَنِ الْجَنَّةِ -
وَاللَّهُ أَعْلَمُ- هُوَ الَّذِي قَدْ تَرَكَ لَهُ وَفَاءً وَلَمْ يُوصِ بِهِ. أَوْ قَدَرَ عَلَى
الْأَدَاءِ فَلَمْ يُؤَدِّهِ، أَوْ أَدَّاهُ فِي سَرَفٍ أَوْ فِي سَفَهٍ وَمَاتَ وَلَمْ
يُوفِّهِ. وَأَمَّا مَنْ أَدَّاهُ فِي حَقٍّ وَاجِبٍ لِفَاقَةِ وَعُسْرِ وَمَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ
وَفَاءً فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحْبِسُهُ عَنِ الْجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لِأَنَّ عَلَى السُّلْطَانِ
فَرَضًا أَنْ يُؤَدِّيَ عَنْهُ دَيْنَهُ، إِمَّا مِنْ جُمْلَةِ الصَّدَقَاتِ، أَوْ مِنْ سَهْمِ
الْعَارِمِينَ، أَوْ مِنْ الْفَيْءِ الرَّاجِعِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ أَحْمَرَّتْ
وَجَنَّتَاهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ قَالَ: صُبِّحْتُمْ
مُسَيِّتُمْ قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَمَنْ تَرَكَ
مَالًا، فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا، فَعَلَيَّ وَإِلَيَّ، فَأَنَا أَوْلَى
بِالْمُؤْمِنِينَ»^{٨٥}

وإن لم يؤد السلطان عنه دينه، فإن الله يرضي خصمه الدائن
عنه، بحيث يتنازل عن حقه.

^{٨٤} - المعجم الكبير للطبراني (١٠ / ٢١٩) (١٠٥٢٧) صحيح

^{٨٥} - تفسير القرطبي (٤ / ٢٧٤) وصحيح ابن حبان - مخرجا (٧ / ٣٣٢) (٣٠٦٢)

وهو في صحيح مسلم مطولا (٢ / ٥٩٢) ٤٣ - (٨٦٧)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِثْلَافَهَا أَثْلَفَهُ اللَّهُ»^{٨٦}.

وَأَيُّمَا قَالَ أَثْلَفَهُ لَأَنَّ إِثْلَافَ الْمَالِ كإِثْلَافِ النَّفْسِ أَوْ لِرِيَادَةِ زَجَرِهِ فَإِنَّ مَعْنَى أَثْلَفَهُ أَهْلَكَهُ ثُمَّ هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْجَزَائِيَّةُ وَكَذَا الْأُولَى جُمْلَةُ خَبَرِيَّةٌ لَفْظًا وَمَعْنَى وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ إِثْنَاءَ مَعْنَى بِأَنْ يَخْرُجَ مَخْرَجَ الدُّعَاءِ لَهُ.^{٨٧}

الثالثة: الملائكة تظلل الشهيد بأجنتها.

عن مُحَمَّدَ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا، يَقُولُ: جِئْتُ بِأَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَذَهَبَتْ أَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ، فَتَهَانِي قَوْمِي فَسَمِعَ صَوْتَ صَائِحَةٍ، فَقِيلَ: ابْنَةُ عَمْرٍو - أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو - فَقَالَ: «لِمَ تَبْكِي - أَوْ لَا تَبْكِي - مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا» قُلْتُ لَصَدَقَ: أَفِيهِ «حَتَّى رُفِعَ» قَالَ: رَبِّمَا قَالَ^{٨٨}.

^{٨٦} - صحيح البخاري (١١٥ / ٣) (٢٣٨٧)

[ش (يريد أدائها) قاصدا أن يردها إلى المقرض. (أدى الله عنه) يسر له ما يؤدي منه من فضله وأرضى غريمه في الآخرة إن لم يستطع الوفاء في الدنيا. (إثلافها) لا يقصد قضائها. (أثلفه الله) أذهب ماله في الدنيا وعاقبه على الدين في الآخرة]

^{٨٧} - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٩٥٧ / ٥)

^{٨٨} - صحيح البخاري (٢١ / ٤) (٢٨١٦)

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جِيءَ بِأَبِي يَوْمَ أُحُدٍ
 قَدْ مَثَلَ بِهِ، حَتَّى وُضِعَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ سُجِّيَ
 ثَوْبًا، فَذَهَبَتْ أُرِيدُ أَنْ أَكْشِفَ عَنْهُ، فَتَهَانِي قَوْمِي، ثُمَّ ذَهَبَتْ أَكْشِفُ
 عَنْهُ، فَتَهَانِي قَوْمِي، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُفِعَ، فَسَمِعَ صَوْتَ
 صَائِحَةٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» فَقَالُوا: ابْنَةُ عَمْرٍو - أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو -
 قَالَ: «فَلِمَ تَبْكِي؟ أَوْ لَا تَبْكِي، فَمَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتَيْهَا
 حَتَّى رُفِعَ»^{٨٩}

يَجُوزُ لِلْحَاضِرِينَ وَغَيْرِهِمْ كَشْفُ وَجْهِ الْمَيِّتِ وَتَقْبِيلُهُ، وَالْبُكَاءُ
 عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بُكَاءً خَالِيًا مِنَ الصُّرَاحِ وَالتُّوَّاحِ^{٩٠}

الرابعة: الشهادة الخالصة في سبيل الله توجب دخول الجنة قطعاً.

(المُسَجَّى): المَغْطَى. - (مَثَلَ بِهِ) التَّمثِيلُ بِالْقَتِيلِ: تشويهِه خَلْقَتَهُ بِمَجْدَعٍ أَوْ قَطْعِ عَضْوٍ مِنْ
 أَعْضَائِهِ. - (مَجْدَعًا) الجَدْعُ: قَطْعُ الْأَنْفِ وَنَحْوَهُ مِنَ الْأَعْضَاءِ.
^{٨٩} - صحيح البخاري (٨١ / ٢) (١٢٩٣) وصحيح مسلم (٤ / ١٩١٧) ١٢٩ - (٢٤٧١)

[ش (مثل به) من التمثيل بالقتيل وهو قطع أنفه وأذنه وما أشبه ذلك. (سجى)
 غطي. (صائحة) امرأة تصيح. (ابنة عمرو) عممة جابر واسمها فاطمة. (أخت عمرو) عممة
 عبد الله أبي جابر]

^{٩٠} - الموسوعة الفقهية الكويتية - وزارة الأوقاف الكويتية (٨٢ / ٢)

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَّاحِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: «مَا شَاءَ اللَّهُ» فَسَأَلْنَا يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قُلْنَا: لَا، قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ» قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى: «إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَمِمْ شِدْقَهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفَهْرٍ - أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَسْتَدْخُلُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَذْهَدَهُ الْحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَمِمْ رَأْسَهُ وَعَادَ رَأْسَهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ، فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقَبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارٌ، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهْرِ - قَالَ يَزِيدُ، وَوَهَبُ بْنُ جَرِيرٍ: عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ - وَعَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي

النَّهْرَ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِيهِ، فَدَدَهُ حَيْثُ
كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا
كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ
خَضِرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِيبَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ
قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي
الشَّجَرَةِ، وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرَقَطُ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخُ
وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ، وَصِيبَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي
الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا
شُيُوخُ، وَشَبَابٌ، قُلْتُ: طَوَّقْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا
رَأَيْتُمْ، قَالَا: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ
بِالْكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ
بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفَعَّلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ
فِي الثَّقَبِ فَهُمْ الزُّنَاةُ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهْرِ أَكَلُوا الرِّبَا، وَالشَّيْخُ فِي
أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالصِّيبَانِ، حَوْلُهُ، فَأَوْلَادُ النَّاسِ
وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكُ خَازِنُ النَّارِ، وَالدَّارُ الْأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ
عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا
مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ

السَّحَابِ، قَالَا: ذَاكَ مَنْزِلُكَ، قُلْتُ: دَعَانِي أُدْخِلْ مَنْزِلِي، قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ
لَكَ عُمْرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ "٩١".

(وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ)، أَي: خَوَاصُّ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ لَمَّا وَرَدَ: أَنَّ مِدَادَ الْعُلَمَاءِ يُرْجَحُ عَلَى دِمَاءِ
الشُّهَدَاءِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ بِالشُّهَدَاءِ أَرْبَابُ الْحُضُورِ مَعَ الْمَوْلَى فِي
غَالِبِ أَحْوَالِهِمْ، كَمَا أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْعَامَّةِ مَنْ غَالِبُ أَحْوَالِهِمُ الْعَقْلَةُ
وَالْعَبِيَّةُ عَنِ الْحَضَرَةِ. ٩٢

وَعَنْ سَمُرَةَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي، فَصَعِدَا بِي
الشَّجَرَةَ فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ
مِنْهَا، قَالَا: أَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ" ٩٣

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْعِدَّةَ
أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَّحَهُ، فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟»، فَسَأَلْنَا
يَوْمًا، ثُمَّ قَالَ: «أُرَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي فَصَعِدَا بِي

٩١ - صحيح البخاري (١٠١ / ٢) (١٣٨٦)

[ش (كلوب) الحديدية التي ينشل بها اللحم ويلحق ومثله الكلاب. (شدة) جانب
فمه. (يلتئم) يصح ويبرأ. (بفهر) بحجر ملء الكف. (فيشدخ) من الشدخ وهو كسر
الشيء الأجووف. (تدهده) تدرج]

٩٢ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧ / ٢٩٢٨)

٩٣ - صحيح البخاري (١٦ / ٤) (٢٧٩١)

فِي الشَّجَرَةِ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَر قطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فَقَالَ: أَمَّا هَذِهِ
الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ»^{٩٤}

الخامسة: عندما يقتل الشهداء في سبيل الله فإن الله يجعل
أرواحهم في أجواف طير خضر في الجنة.

عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ} [آل
عمران: ١٦٩] قَالَ: أَمَّا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي
جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ
شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَيُطْلَعُ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ
اطَّلَاعَةً»، فَقَالَ: "هَلْ تَسْتَهْوَنَ شَيْئًا؟" قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَسْتَهِي وَنَحْنُ
نَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا
أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا
فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ
لَهُمْ حَاجَةٌ تُرْكُوا^{٩٥}.

^{٩٤} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٥١٦/١٠) (٤٦٥٩) صحيح

^{٩٥} - صحيح مسلم (٣/١٥٠٢) ١٢١ - (١٨٨٧)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩] فَقَالَ: "أَمَّا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَأُخْبِرْنَا أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي طَيْرٍ خَضِرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ اظْلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئًا فَأَزِيدُكُمْ؟ قَالُوا رَبَّنَا: وَمَا نَسْتَزِيدُ وَنَحْنُ فِي الْجَنَّةِ نَسْرَحُ حَيْثُ شِئْنَا؟ ثُمَّ اطَّلَعَ عَلَيْهِمُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئًا فَأَزِيدُكُمْ؟ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يُتْرَكُونَ قَالُوا: تُعِيدُ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَنُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى^{٩٦}

(إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا): أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ (عَنْ ذَلِكَ): أَيُّ عَنْ مَعْنَى هَذِهِ آيَةِ. قَالَ التَّوَوِيُّ: الْحَدِيثُ مَرْفُوعٌ بِقَوْلِهِ: إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ. (فَقَالَ): يَعْنِي النَّبِيُّ ﷺ - وَقَالَ الْقَاضِي: الْمَسْئُولُ وَالْمُجِيبُ هُوَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي فَقَالَ ضَمِيرٌ لَهُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَرِينَةُ الْحَالِ، فَإِنَّ الظَّاهِرَ حَالُ الصَّحَابِيِّ أَنْ يَكُونَ سُؤَالُهُ وَاسْتِكْشَافُهُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ - لَا سِيمَا فِي تَأْوِيلِ آيَةٍ هِيَ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ، وَمَا هِيَ مِنْ أَحْوَالِ الْمَعَادِ، فَإِنَّهُ غَيْبٌ صِرْفٌ لَا

^{٩٦} - سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٢٣١) (٣٠١١) صحيح

يُمْكِنُ مَعْرِفَتُهُ إِلَّا بِالْوَحْيِ، وَلِكُونِهِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ مِنَ التَّعْيِينِ أَضْمِرُ
مَنْ غَيْرِ أَنْ يَسْبِقَ ذِكْرُهُ.

قُلْتُ: أَيْضًا: جَلَالَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ تَأْبِي أَنْ يَسْأَلَ عَنْ ذَلِكَ غَيْرُهُ - ﷺ
- وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَوْلُهُ: (أَرْوَاهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضِرَ): أَيُّ يُخْلَقُ
لِأَرْوَاهِهِمْ بَعْدَ مَا فَارَقَتْ أَبْدَانَهُمْ هَيَاكِلُ عَلَى تِلْكَ الْهَيْئَةِ تَتَعَلَّقُ
بِهَا، وَتَكُونُ خَلْفًا عَنْ أَبْدَانِهِمْ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَحْيَاءُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ} [آل عمران: ١٦٩] فَيَتَوَصَّلُونَ بِهَا إِلَى نَيْلِ مَا يَشْتَهُونَ
مِنَ اللَّذَائِدِ الْحَسَنَةِ، وَإِلَيْهِ يُرْشَدُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُرْزَقُونَ} - فَرِحِينَ بِمَا
آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠] وَالطَّيْرُ جَمْعُ
طَائِرٍ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَخُضِرَ بَضَمٌ فَسُكُونٌ جَمْعُ أَخْضَرَ
(لَهَا): أَيُّ لِلطَّيْرِ، أَوْ لِلأَرْوَاحِ (فَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ): بِمَنْزِلَةِ أَوْكَارِ
الطَّيْرِ (تَسْرَحُ): أَيُّ تَسِيرُ وَتَرْعَى وَتَتَنَاوَلُ (مِنَ الْجَنَّةِ): أَيُّ مِنْ
ثَمَرَاتِهَا وَلَذَائِهَا (حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي): أَيُّ تَرْجِعُ (إِلَى تِلْكَ
الْقَنَادِيلِ): أَيُّ فَسْتَقَرُّ فِيهَا، ثُمَّ تَسْرَحُ، وَهَكَذَا (فَاطَّلَعَ): بِتَشْدِيدِ الطَّاءِ
؛ أَيُّ نَظَرَ (إِلَيْهِمْ): وَتَحَلَّى عَلَيْهِمْ (رُبُّهُمْ): وَإِنَّمَا قَالَ (اطَّلَاعَةً): لِيَدُلَّ
عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ اطَّلَاعِنَا عَلَى الْأَشْيَاءِ. قَالَ الْقَاضِي: وَعَدَّاهُ
بِالْيَ، وَحَقُّهُ أَنْ يُعَدَّى بِعَلَى لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْإِنْتِهَاءِ. (فَقَالَ): أَيُّ رُبُّهُمْ
(«هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنْ

الْحَنَّةَ حَيْثُ شَتْنَا»: يَعْنِي: {وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ} [الزخرف: ٧١] (فَفَعَلَ): أَيُّ رَبُّهُمْ (ذَلِكَ): أَيُّ مَا ذَكَرَ مِنَ الْإِطْلَاعِ وَالْقَوْلِ لَهُمْ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ): قَالَ الْقَاضِي: اِطْلَاعُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَاسْتَفْهَامُهُ عَمَّا يَشْتَهُونَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى مَجَازٌ عَنْ مَزِيدٍ تَلَطُّفِهِ بِهِمْ وَتَضَاعُفِ تَفْضِيلِهِ عَلَيْهِمْ. قُلْتُ: وَلَا مَانِعَ لِلْحَمَلِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، بَلْ هِيَ أَحَقُّ عِنْدَ عَدَمِ الصَّارِفِ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي مَحَلِّهِ، (فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا): بِصِيغَةِ الْمَفْعُولِ ؛ أَيُّ لَنْ يَخْلُوا (مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا): بِصِيغَةِ الْفَاعِلِ، وَمِنْ زَائِدَةٍ لَوْقُوعِهَا فِي سِيَاقِ التَّنْفِي، وَأَنْ يَسْأَلُوا بَدَلُ مَنْ نَائِبِ فَاعِلٍ يُتْرَكُوا ؛ أَيُّ لَنْ يُتْرَكَ سُؤْلُهُمْ (قَالُوا «يَا رَبُّ! نُرِيدُ أَنْ نُرَدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا»): أَيُّ الْأَوَّلِيَّةِ (حَتَّى نُقْتَلَ): بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ ؛ أَيُّ نُسْتَشْهَدُ (فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى؟): قَالَ الْقَاضِي: الْمُرَادُ بِهِ أَنَّهُ لَا يَبْقَى لَهُمْ مُتَمَنَّى وَلَا مَطْلَبٌ أَصْلًا غَيْرَ أَنْ يُرْجِعُوا إِلَى الدُّنْيَا فَيُسْتَشْهَدُوا ثَانِيًا لِمَا رَأَوْا بِسَبَبِهِ مِنَ الشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ (فَلَمَّا رَأَى): أَيُّ عَلِمَ اللَّهُ عِلْمًا تَنْجِيزِيًّا مُطَابِقًا لِمَا عَلِمَ عِلْمًا غَيْبِيًّا تَعْلِيقِيًّا (أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ): أَيُّ حَاجَةٌ مُعْتَبَرَةٌ ؛ لِأَنَّهُمْ سَأَلُوا مَا هُوَ خِلَافُ إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى (تُرْكُوا): أَيُّ مَنْ سَأَلَ هَلْ تَشْتَهُونَ؟ قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ: رُؤْيَةُ اللَّهِ كَانَتْ أَعْظَمَ النَّعَمِ، فَلِمَ لَمْ يَطْلُبُونَهَا؟ قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ رُؤْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى

مَوْقُوفَةً فِي ذَلِكَ عَلَى كَمَالِ اسْتِعْدَادٍ يَلِيقُ بِهَا، فَصَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ
عَنْ ذَلِكَ إِلَى وَقْتِ حُصُولِ الْإِسْتِعْدَادِ. فَإِنْ قُلْتُ: إِعَادَةُ الرُّوحِ إِلَى
الْجَسَدِ إِنْ كَانَ لَطَلَبَ مَا هُمْ فِيهِ فَلَا فَائِدَةَ، وَإِنْ كَانَ لَغَيْرِهِ فَهَلَّا
اشْتَهَوْهُ أَوْ لَا؟ قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُمْ بِذَلِكَ الْكَلَامِ الْقِيَامَ
بِمُوجِبِ الشُّكْرِ فِي مُقَابَلَةِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. قَالَ
الْقَاضِي: الْحَدِيثُ تَمَثِيلٌ لِحَالِهِمْ، وَمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَهْجَةِ وَالسَّعَادَةِ
شَبَّهَ لَطَافَتَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ، وَتَمَكُّنَهُمْ مِنَ التَّلَذُّذِ بِأَنْوَاعِ الْمُشْتَهَيَّاتِ
وَالْتَبَوُّ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءُوا، وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَانْخِرَاطِهِمْ
فِي غَارِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى الَّذِينَ هُمْ حَوْلَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ بِمَا إِذَا كَانُوا
فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضِرَ تَسْرَحُ إِلَى الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، وَتَأْوِي إِلَى
قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ، وَشَبَّهَ حَالَهُمْ فِي اسْتِحْجَاعِ اللَّذَائِدِ وَحُصُولِ
جَمِيعِ الْمَطَالِبِ بِحَالِ مَنْ يُبَالِغُ وَيَسْرُدُ عَلَيْهِ رَبُّهُ الْمُتَفَضِّلُ الْمُشْفِقُ
عَلَيْهِ غَايَةَ التَّفَضُّلِ وَالْإِشْفَاقِ الْقَادِرُ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ بَأَنْ يُسْأَلَ
مِنْهُ مَطْلُوبًا، وَيُكَرَّرَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى بِحَيْثُ لَا يَرَى بُدًّا مِنْ
السُّؤَالِ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ أَنْ يَسْأَلَهُ إِلَّا أَنْ يُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَفِي شَرْحِ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: اخْتَلَفُوا فِيهِ قِيلَ: لَيْسَ
لِلْأَقْسَسَةِ وَالْعُقُولِ فِي هَذَا حُكْمٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ الرُّوحَ إِذَا

خَرَجَتْ مِنَ الْمُؤْمِنِ، أَوِ الشَّهِيدِ فِي قَنَادِيلَ، أَوْ أَجْوَافِ طَيْرٍ، أَوْ
 حَيْثُ شَاءَ كَانَ ذَلِكَ، وَوَقَعَ وَلَمْ يَبْعُدْ لَّا سِيَمًا مَعَ الْقَوْلِ بِأَنَّ
 الْأَرْوَاحَ أَجْسَامَ، فَغَيْرُ مُسْتَحِيلٍ أَنْ يُصَوَّرَ جُزْءٌ مِنَ الْإِنْسَانِ طَائِرًا، أَوْ
 يُجْعَلَ فِي حَوْفِ طَائِرٍ فِي قَنَادِيلَ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي
 الرُّوحِ فَقَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَرْبَابِ الْمَعَانِي، وَعَلِمَ الْبَاطِنِ، وَالْمُتَكَلِّمِينَ: لَّا
 يُعْرِفُ حَقِيقَتَهُ وَلَا يَصِحُّ وَصْفُهُ، وَهُوَ مِمَّا جَهَلَ الْعِبَادُ
 عِلْمَهُ، وَاسْتَدْلُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} [الإسراء: ٨٥]
 آخَرُونَ: هُوَ أَجْسَامٌ لَطِيفَةٌ مُشَابِكَةٌ لِلْجِسْمِ يَحْيَا بِحَيَاتِهِ، وَأَجْرَى
 اللَّهُ تَعَالَى الْعَادَةَ بِمَوْتِ الْجِسْمِ بَعْدَ فِرَاقِهِ، وَقَدْ تَعَلَّقَ بِهَذَا الْحَدِيثِ
 وَأَمْثَالِهِ بَعْضُ الْقَائِلِينَ بِالتَّنَاسُخِ وَانْتِقَالِ الْأَرْوَاحِ وَتَنْعِيمِهَا فِي الصُّورِ
 الْحَسَنِ الْمُرَفَّهِ، وَتَعَذِّبِهَا فِي الصُّورِ الْقَبِيحَةِ الْمُسَخَّرَةِ، وَزَعَمُوا أَنَّ
 هَذَا هُوَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَهَذَا بَاطِلٌ مُرْدُودٌ لَا يُطَابِقُ مَا جَاءَتْ بِهِ
 الشَّرَائِعُ مِنْ إِثَابَةِ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَلِهَذَا قَالَ فِي
 حَدِيثٍ آخَرَ: حَتَّى يُرْجَعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ بَعْثَةِ
 الْأَجْسَادِ. قُلْتُ: قَالَ ابْنُ الْهَمَامِ: اعْلَمْ أَنَّ الْقَوْلَ بِتَجَرُّدِ الرُّوحِ يُخَالِفُ
 هَذَا الْحَدِيثَ، كَمَا أَنَّهُ يُخَالِفُ قَوْلَهُ تَعَالَى: {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي}

[الفجر: ٢٩] اهـ.

وَفِي بَعْضِ حَوَاشِي شَرْحِ الْعَقَائِدِ: اعْلَمْ أَنَّ التَّنَاسُخَ عِنْدَ أَهْلِهِ هُوَ رَدُّ
الْأَرْوَاحِ إِلَى الْأَبْدَانِ فِي هَذَا الْعَالَمِ لَا فِي الْآخِرَةِ إِذْ هُمْ يُنْكَرُونَ
الْآخِرَةَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلِذَا كَفَرُوا اه. وَفِيهِ بَيَانٌ أَنَّ الْجَنَّةَ مَخْلُوقَةٌ
مَوْجُودَةٌ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَهِيَ الَّتِي أُهْبِطَ مِنْهَا آدَمُ وَيَتَنَعَّمُ
فِيهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي الْآخِرَةِ، وَفِيهِ أَنَّ مُجَازَاةَ الْأَمْوَاتِ بِالثَّوَابِ
وَالْعِقَابِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ الْأَرْوَاحَ بَاقِيَةٌ لَا تَفْنَى، فَيَتَنَعَّمُ الْمُحْسِنُ
وَيُعَذِّبُ الْمُسِيءُ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَبِهِ نَطَقَ التَّنْزِيلُ وَالْإِسْلَامُ
خِلَافًا لِطَائِفَةٍ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا
غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٦].^{٩٧}

ولعل الحكمة في جعل أرواح الشهداء في أجساد الطيور
الخنصر، أنهم جاهدوا في سبيل الله، وجادوا بأجسادهم الكثيفة لله
تعالى، وبذلوها في حب الله، وعرضوها للآلام والمشقات الشديدة
وسمحو بها للفناء، امتثالاً لأمر الله! فلما فعلوا ذلك عوضهم الله
عنها أجساداً لطيفة في دار النعيم الباقي.

ولعل الحكمة في اختيار الطيور ذوات اللون الأخضر والقناديل
المعلقة في ظل العرش هي: إن ألطف الألوان هو اللون

^{٩٧} - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦ / ٢٤٦٤)

الأخضر. وألطف الجمادات الشفافة هو الزجاج. ولذلك جعل الله
أرواح الشهداء في ألطف الأجساد، وهو الطير، واختار ألطف
الألوان وهو الأخضر، ويأوي ذلك الطير الأخضر إلى ألطف
الجمادات وهي القناديل المنورة والمفرحة في ظل العرش، لتكمل لها
لذة النعيم في جوار الرب الكريم!

والفرق بين روح الشهيد وروح المؤمن غير الشهيد؛ أن روح
الشهيد في جوف طير أخضر، فكأنها تركب ذلك الطير. أما روح
المؤمن فإنها على شكل طير في الجنة، فكأنها تطير بنفسها.

**السادسة: الشهداء لا يفتنون في قبورهم ولا يصعقون عند
نشورهم.**

ولا يفتن الشهيد في قبره، لأنه كفى ببارقة السيوف على رأسه
فتنة. إن الفتنة في القبر إنما هي لاختبار ما عند الإنسان من حقيقة
الإيمان والتصديق.

ولا شك أن من وقف للقتال ورأى السيوف تلمع وتقطع، والأسنة
تبرق وتخرق، والسهم ترشق وتمرق، والرؤوس تندر، والدماء
تنعب، والأعضاء تتطاير، والناس بين قتيل وجريح وطريح، إن من
رأى ذلك فثبت ولم يول الدبر ولم ينهزم، وإنما جاد بنفسه لله

تعالى، إيماناً به، وتصديقاً بوعدده ووعيدده، إنما يكفيه هذا امتحاناً لإيمانه، واختباراً له، وهذه هي الفتنة التي ما بعدها فتنة يكفي للشهيد هذا الامتحان من سؤال الفتان. والشهيد لا يصعق عندما يبعث من قبره يوم القيامة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ هَذِهِ آيَةِ: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَشَأِ اللَّهُ أَنْ يَصْعَقَهُمْ؟ قَالَ: هُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ «^{٩٨}.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ جَبْرِيلَ عَنْ هَذِهِ آيَةِ: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} مَنْ لَمْ يَشَأِ اللَّهُ أَنْ يَصْعَقَهُ؟ قَالَ: هُمْ الشُّهَدَاءُ ثَبَتَهُ اللَّهُ مُتَقَلِّدِي أَسْيَافِهِمْ حَوْلَ عَرْشِهِ، تَلْقَاهُمْ مَلَائِكَةُ الْمَحْشَرِ بِنَجَائِبِ مَنْ يَأْقُوتُ، أَزْمَتُهَا الدُّرُّ الْأَبْيَضُ، بَرَحَائِلُ الذَّهَبِ، وَأَغْشِيَتُهَا السُّنْدُسُ وَالْإِسْتَبْرَقُ، وَأَنْمَارُهَا أَلْيُنُ مِنَ الْحَرِيرِ مَدُّ خُطَاهَا مَدُّ أَبْصَارِ الرِّجَالِ، يَسِيرُونَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى خِيُولٍ يَقُولُونَ عِنْدَ طُولِ

^{٩٨} - المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٢/ ٢٧٧) (٣٠٠٠) صحیح

النُّزْهَةِ: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى رَبَّنَا نَنْظُرَ كَيْفَ يَقْضِي بَيْنَ خَلْقِهِ؟ يَضْحَكُ
إِلَّا هِيَ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا ضَحِكَ فِي مَوْطِنٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ "٩٩
وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فِي قَوْلِهِ: فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ: «الشُّهَدَاءُ ثَنِيَّةُ اللَّهِ حَوْلَ
الْعَرْشِ، مُتَقَلِّدِينَ السُّيُوفَ» وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَى بِالْإِسْتِثْنَاءِ فِي
الْفَرْعِ: الشُّهَدَاءُ، وَفِي الصَّعَقِ: جَبْرِيلُ، وَمَلَكُ الْمَوْتِ، وَحَمَلَةُ
الْعَرْشِ "١٠٠

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: {فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} قَالَ: هُمُ الشُّهَدَاءُ ثَنِيَّةُ اللَّهِ حَوْلَ الْعَرْشِ، مُتَقَلِّدِينَ
السُّيُوفَ. ١٠١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ جَبْرِيلَ عَنْ هَذِهِ
الْآيَةِ: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} مَنْ لَمْ يَشَأْ اللَّهُ أَنْ يَصْعَقَهُ؟ قَالَ: هُمُ الشُّهَدَاءُ ثَنِيَّةُ
اللَّهِ مُتَقَلِّدِي أَسْيَافِهِمْ حَوْلَ عَرْشِهِ، تَتَلَقَّاهُمْ مَلَائِكَةُ الْمَحْشَرِ بِنَجَائِبِ
مَنْ يَأْقُوتُ، أَزِمَّتْهَا الدُّرُّ الْأَبْيَضُ، بَرَحَائِلُ الذَّهَبِ، وَأَغْشَيْتُهَا السُّنْدُسُ
وَالْإِسْتَبْرَقُ، وَأَنْمَارُهَا أَلْيُنُ مِنَ الْحَرِيرِ مَدُّ خُطَاهَا مَدُّ أَبْصَارِ

٩٩ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٩٧ / ٧) (٧١) فيه لين

١٠٠ - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٥٦ / ٢٠) صحيح مرسل

١٠١ - مصنف ابن أبي شيبة - دار القبلة (٢٥٧ / ١٠) (١٩٦٨٩) صحيح مرسل

الرَّجَالِ، يَسِيرُونَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى خِيُولٍ يَقُولُونَ عِنْدَ طَوْلِ
النُّزْهَةِ: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى رَبَّنَا نَنْظُرُ كَيْفَ يَقْضِي بَيْنَ خَلْقِهِ؟ يَضْحَكُ
إِلَّا هِيَ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا ضَحِكَ فِي مَوْطِنٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ "١٠٢

السابعة: الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته، ويأمن من الفرع
الأكبر ويغفر له بأول قطرة من دمه.

عَنِ الْمَقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لِلشَّهِيدِ عِنْدَ
اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يَغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدُهُ مِنَ
الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ
الْإِيمَانِ، وَيَزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ
١٠٣".

وَعَنِ الْمَقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: "إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ تِسْعَ خِصَالٍ - أَوْ قَالَ: عَشَرَ خِصَالٍ -

١٠٢ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/ ٩٨) (٧١) والمستدرک علی الصحیحین للحاکم

(٢/ ٢٧٧) (٣٠٠٠) صحیح لغيره

١٠٣ - سنن ابن ماجه (٢/ ٩٣٥) (٢٧٩٩) صحیح

(سنة خصال) المذكورات سبع. إلا أن يجعل الإجازة والأمن من الفرع واحدة (دفعه)
الدفعه بالضم ما دفع من إناء أو سقاء فانصب بمرة. وكذلك الدفعه من المطر. يقال داء
القوم دفعه واحدة إذا دخلوا بمرة واحدة. (حلة الإيمان) غضافة الحلة إلى الإيمان بمعنى أنها
مسببة عنه.

يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حِلْيَةَ الْإِيمَانِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيَأْمَنُ يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ: الْيَاقُوتَةُ خَيْرُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ "١٠٤

وَعَنْ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبٍ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تِسْعُ خِصَالٍ، يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حِلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ الْفَرَجَ الْأَكْبَرَ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ» ١٠٥

وَعَنْ قَيْسِ الْجُدَامِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ لِلْقَتِيلِ عِنْدَ اللَّهِ سِتَّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ خَطِيئَتُهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيُحَلَّى حِلَّةَ الْكَرَامَةِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُؤْمَنُ مِنَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ " ١٠٦

١٠٤ - المعجم الكبير للطبراني (٢٠ / ٢٦٦) (٦٢٩) صحيح

١٠٥ - الشريعة للأجري (٣ / ١٢٤٣) (٨١١) صحيح

١٠٦ - شعب الإيمان (٦ / ١١٣) (٣٩٤٧) صحيح

لَا يُوحَدُ مَجْمُوعُهَا لِأَحَدٍ غَيْرِهِ (يُغْفَرُ لَهُ): بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ ؛ أَيِ
تُغْفَرُ ذُنُوبُهُ (فِي أَوَّلِ دَفْقَةٍ): يَفْتَحُ أَوَّلُهُ، وَفِي نُسْخَةٍ بَضَمٍ
أَوَّلِهِ. الْجَوْهَرِيُّ: الدَّفْقَةُ مِنَ الْمَطَرِ وَغَيْرِهِ بِالضَّمِّ مِثْلُ الدَّفْعَةِ وَبِالْفَتْحِ
الْوَاحِدَةُ ؛ أَيِ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْقَةٍ وَصَبَّةٍ مِنْ دَمِهِ (وَيَرَى): بَضَمٍ
أَوَّلِهِ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْإِرَاعَةِ وَيُفْتَحُ وَقَوْلُهُ: (مَقْعَدُهُ): بِالتَّصْبِيبِ لَا غَيْرَ عَلَى
أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ وَالْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ نَائِبُ الْفَاعِلِ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ
بِهِ، وَفَاعِلُهُ مُسْتَكِنٌ فِي يَرَى وَقَوْلُهُ: (مِنْ الْحَنَّةِ): مُتَعَلِّقٌ بِهِ، هَذَا يَنْبَغِي
أَنْ يَحْمِلَ قَوْلُهُ: وَيَرَى مَقْعَدَهُ عَلَى أَنَّهُ عَطْفٌ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ: يُغْفَرُ لَهُ
لَمَّا تَزِيدُ الْخِصَالَ عَلَى سِتٍّ، لَمَّا يَلْزَمُ التَّكْرَارُ فِي قَوْلِهِ: (وَيُجَارُ مِنْ
عَذَابِ الْقَبْرِ): أَيِ يُحْفَظُ وَيُؤَمَّنُ إِذِ الْإِجَارَةُ مُنْدَرِجَةٌ فِي الْمَغْفَرَةِ إِذَا
حُمِلَتْ عَلَى ظَاهِرِهَا (وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ): فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ
تَعَالَى: {لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ} [الأنبياء: ١٠٣] قِيلَ: هُوَ عَذَابُ
النَّارِ، وَقِيلَ: الْعَرْضُ عَلَيْهَا، وَقِيلَ: هُوَ وَقْتُ يُؤْمَرُ أَهْلُ النَّارِ
بِدُخُولِهَا، وَقِيلَ: ذُبْحُ الْمَوْتِ فَيُنَاسِ الْكُفَّارُ عَنِ التَّخَلُّصِ مِنَ النَّارِ
بِالْمَوْتِ، وَقِيلَ: وَقْتُ إِطْبَاقِ النَّارِ عَلَى الْكُفَّارِ، وَقِيلَ: التَّفْخَةُ الْآخِرَةُ
بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} [النمل: ٨٧] (وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ
الْوَقَارِ): أَيِ الْمَعَزَّةِ. وَفِي التَّهَابَةِ: التَّاجُ مَا يُصَاغُ لِلْمُلُوكِ مِنَ الذَّهَبِ

وَالْجَوَاهِرِ (الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا): أَيُّ مِنَ التَّاجِ وَالتَّانِيثُ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ عَلَامَةٌ
 الْعِزِّ وَالشَّرَفِ، أَوْ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ مَجْمُوعٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَغَيْرِهَا. (خَيْرُ
 مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ): أَيُّ يُعْطَى بِطَرِيقِ الزَّوْجِيَّةِ (اِثْنَتَيْنِ
 وَسَبْعِينَ زَوْجَةً): فِي التَّقْيِيدِ بِاِثْنَتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ
 بِهِ التَّحْدِيدُ، لَا التَّكْثِيرُ، وَيُحْمَلُ عَلَى أَنَّ هَذَا أَقَلُّ مَا يُعْطَى، وَلَا مَانِعَ
 مِنَ التَّفْضِيلِ بِالزِّيَادَةِ عَلَيْهَا (مِنَ الْحُورِ الْعِينِ): أَيُّ نِسَاءِ الْجَنَّةِ
 وَاحِدَتُهَا حَوْرَاءٌ، وَهِيَ الشَّدِيدَةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ الشَّدِيدَةِ
 سَوَادِهَا، وَالْعَيْنُ جَمْعُ عَيْنَاءٍ وَهِيَ الْوَاسِعَةُ الْعَيْنِ (وَيُشَفَّعُ): بِتَشْدِيدِ
 الْفَاءِ ؛ أَيُّ يُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ (فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقْرَبَائِهِ): أَيُّ أَقَارِبِهِ
 وَأَحْبَابِهِ. ١٠٧

الثامنة: من استشهد في سبيل الله أفضل ممن انتصر وعاد سالماً
 عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْ
 يُعْقَرَ حَوَادِثُكَ، وَيُهْرَاقَ دَمُكَ». ١٠٨.

التاسعة: الشهيد لا يجد من ألم القتل إلا كما يجد من ألم القرصة

١٠٧ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢٤٨٢ / ٦)

١٠٨ - صحيح ابن حبان - مخرجا (٤٩٦ / ١٠) (٤٦٣٩) صحيح

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ»^{١٠٩}.
قَالَ فِي الْقَامُوسِ الْقَرْصُ أَخَذَكَ لَحْمَ إِنْسَانٍ بِأَصْبُعِكَ حَتَّى تُؤْلِمَهُ وَلَسَعُ الْبَرَاغِيثِ "وَذَا تَسْلِيَةٌ لَهُمْ عَنْ هَذَا الْخَطْبِ الْمُهُولِ"^{١١٠}

العاشر: يدخل الملائكة على الشهداء من كل باب يسلمون عليهم

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ ثَلَاثَةِ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ يَتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارَهُ، إِذَا أُمِرُوا سَمِعُوا وَأَطَاعُوا، وَإِنْ كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ حَاجَةٌ إِلَى السُّلْطَانِ لَمْ تُقْضَ لَهُ حَتَّى يَمُوتَ، وَهِيَ فِي صَدْرِهِ، وَإِنْ اللَّهُ يَدْعُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْجَنَّةَ، فَتَأْتِي بِزُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا، فَيَقُولُ: أَيُّنَ عِبَادِي الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَتَلُوا، وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِي ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَتَأْتِي الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا نَحْنُ نُسَبِّحُ لَكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَنُقَدِّسُ لَكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آثَرْتَهُمْ عَلَيْنَا، فَيَقُولُ الرَّبُّ

^{١٠٩} - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٩٠) (١٦٦٨) صحيح

^{١١٠} - تحفة الأحوذى (٥/ ٢٥٣)

تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ { مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ } [الرعد: ٢٤] ١١١.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "هَلْ تَذَرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيَتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارَهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ شَاءَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحْيُوهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا نَحْنُ سُكَّانُ سَمَاوَاتِكَ، وَخَيْرُكَ مِنْ خَلْقِكَ أَفْتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ، فَنَسْلَمَ عَلَيْهِمْ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنْ هَؤُلَاءِ كَانُوا عِبَادًا لِي يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ وَيَتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارَهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ { سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ } [الرعد: ٢٤] ١١٢

١١١ - شعب الإيمان (٦/ ١٢٠) (٣٩٥٤) صحيح

١١٢ - البعث والنشور للبيهقي (ص: ٢٤٣) (٤١٤) صحيح

الحادية عشرة: يرضى الله عن الشهيد رضى لا سخط بعده:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَنْ أَبْعَثَ
مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ
الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُمْ: الْقُرَّاءُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَأُونَ
الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارِسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَحِثُّونَ بِالْمَاءِ
فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَضِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ
لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَعَرَضُوا لَهُمْ، فَقَتَلُوهُمْ
قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ، بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقَيْنَاكَ
فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا، قَالَ: وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا، خَالَ أَنَسَ مِنْ
خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمَحٍ حَتَّى أَثْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: "إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قَتَلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ
بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقَيْنَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا" ١١٣.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْوَامًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ
إِلَى بَنِي عَامِرٍ فِي سَبْعِينَ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالَ لَهُمْ خَالِي: أَتَقْدَمُكُمْ فَإِنْ
أَمْنُونِي حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِلَّا كُنْتُمْ مِنِّي قَرِيبًا، فَتَقَدَّمَ

١١٣ - صحيح مسلم (٣/ ١٥١١) ١٤٧ - (٦٧٧)

[ش (لأهل الصفة) أصحاب الصفة هم الفقراء الغرباء الذين كانوا يأوون إلى مسجد
النبي ﷺ وكانت لهم في آخره صفة وهو مكان منقطع من المسجد مظلل عليه يبيتون فيه
قاله إبراهيم الحربي والقاضي وأصله من صفة البيت وهو شيء كالظلة قدامه]

فَأَمَّنُوهُ، فَبَيْنَمَا يُحَدِّثُهُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَوْمَتْوَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَطَعَنَهُ، فَأَنْفَذَهُ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ مَالُوا عَلَى بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ، فَقَتَلُوهُمْ إِلَّا رَجُلًا أَعْرَجَ صَعِدَ الْجَبَلَ، قَالَ هَمَّامٌ: فَأَرَاهُ آخَرَ مَعَهُ، «فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ ﷺ، أَنَّهُمْ قَدْ لَقُوا رَبَّهُمْ، فَرَضِيَ عَنْهُمْ، وَأَرْضَاهُمْ»، فَكُنَّا نَقْرَأُ: أَنْ بَلَّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا، وَأَرْضَانَا ثُمَّ نُسَخِّ بَعْدُ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا عَلَى رِغْلٍ وَذَكَوَانَ وَبَنِي لَحْيَانَ وَبَنِي عُصَيَّةَ الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ»^{١١٤}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رِغْلًا، وَذَكَوَانَ، وَعُصَيَّةً، وَبَنِي لَحْيَانَ، اسْتَمَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَدُوٍّ، فَأَمَدَهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ، كُنَّا نُسَمِّيهِمُ الْقُرَاءَ فِي زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَضِبُونَ بِالنَّهَارِ، وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ، حَتَّى كَانُوا بِيْثَرٍ مُعَوَّنَةً قَتَلُوهُمْ وَغَدَرُوا

^{١١٤} - صحيح البخاري (٤/ ١٨) (٢٨٠١)

[ش (بني سليم) الصحيح أنهم مبعوث إليهم والمبعوثون هم رجال من الأنصار كانوا يتعلمون القرآن ويأخذون العلم ويكونون قوة للمسلمين إذا نزلت فيهم نازلة أو دعا داعي الجهاد بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجد يدعونهم إلى الإسلام فلما نزلوا بئر معونة قصدهم عامر بن الطفيل ومعه أحياء من بني سليم وهم رعل وذكوان وبنو لحيان وعصية فقتلوهم. (أومؤوا) أشاروا. (فأنفذه) أصابه بجراحة نفذت من جوفه إلى الجانب الآخر من بدنه. (فزت) رجحت. (نقرأ) أي نزل المذكور قرآنا في حقهم ثم نسخت تلاوته. (أربعين صباحا) في قنوت صلاة الفجر]

بِهِمْ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ «فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو فِي الصُّبْحِ عَلَى أَحْيَاءِ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، عَلَى رِغْلٍ، وَذَكَوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَبَنِي لَحْيَانَ» قَالَ أَنَسٌ: "فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآنًا، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ: بَلَّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا" ١١٥

الثانية عشرة: لا يشترط في الشهادة سبق أعمال الأبرار، بل هي
بسابق الإرادة والاختيار.

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالْحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلْ أَوْ أَسْلَمْ؟ قَالَ: «أَسْلَمْ، ثُمَّ قَاتِلْ»، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتِلْ، فَقَاتِلْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَمِلَ قَلِيلًا وَأَجَرَ كَثِيرًا» ١١٦.

وفي هذا الحديث أَنَّ الأجر الكثير قد يحصل بالعمل اليسير فضلاً
مِنَ اللَّهِ وإحساناً. ١١٧

١١٥ - صحيح البخاري (١٠٥ / ٥) (٤٠٩٠)

[ش (استمدوا) طلبوا المدد منه وهو العون الذي يأتي ليقوي الجيش المقاتل. (فقرأنا
فيهم قرآنا) أي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في شأنهم قرآن قرآناه ثم نسخ. (رفع)
نسخ]

١١٦ - صحيح البخاري (٢٠ / ٤) (٢٨٠٨)

[ش (رجل) هو الأصرم عمرو بن ثابت الأشهلي رضي الله عنه. (مقنع) وجهه مغطى]

١١٧ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة (٢٥ / ٦)

الثالثة عشرة: الشهيد في سبيل الله لا يفضلُه النِّبون إلا بدرجة

النبوة:

عن عُتْبَةَ بْنِ عَبْدِ السَّلْمِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْقَتْلَى ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُمْتَحَنُ، فِي خِيَمَةِ اللَّهِ، تَحْتَ عَرْشِهِ، وَلَا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلَّا بِفَضْلِ دَرَجَةِ النَّبُوَّةِ، وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ قَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى، إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَتِلْكَ مَصْمُصَةٌ مَحَتْ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ، إِنْ السَّيْفُ مَحَّاءٌ لِلْخَطَايَا، وَأُدْخِلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ، فَإِنَّ لَهَا ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، وَلِجَهَتِهِمْ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، وَبَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَرَجُلٌ مُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَذَلِكَ فِي النَّارِ، إِنْ السَّيْفُ لَا يَمْحُو النِّفَاقَ»^{١١٨}.

(ثَلَاثَةٌ) ؛ أَي: أَصْنَافٍ (مُؤْمِنٌ) ؛ أَي: أَحَدُهُمْ مُؤْمِنٌ كَامِلٌ صَالِحٌ فِي الْعَمَلِ (جَاهَدَ): بِصِيغَةِ الْمَاضِي وَفِي نُسخةٍ بِصِيغَةِ الْفَاعِلِ ؛ أَي: مُجْتَهِدٌ (بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ): قَالَ الطَّبِيُّ: بَيْنَ الْقَتْلَى

^{١١٨} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٥١٩ / ١٠) (٤٦٦٣) صحيح

بِقَوْلِهِ مُؤْمِنٌ بِاعْتِبَارِ مَا يَقُولُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: (فَإِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتِلَ حَتَّى
 قُتِلَ): وَلَعَلَّ الْعُدُولَ عَنِ الْمَاضِي إِلَى الْمُضَارِعِ اسْتِحْضَارًا لِلْحَالِ
 وَحُسْنِ الْمَالِ. (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - فِيهِ) : أَيُّ: فِي شَأْنِهِ (فَذَلِكَ
 الشَّهِيدُ الْمُتَحَنُّنُ) ؛ أَيُّ: الْمَشْرُوحُ صَدْرُهُ، وَهُوَ الَّذِي امْتَحَنَ اللَّهُ
 قَلْبَهُ لِلتَّقْوَى (فِي خِيَمَةِ اللَّهِ تَحْتَ عَرْشِهِ): قَالَ الطَّبَيْيُّ: قَوْلُهُ: الشَّهِيدُ
 يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرٌ ذَلِكَ، وَالْمُتَحَنُّنُ صِفَةُ الشَّهِيدِ، وَقَوْلُهُ فِي
 خِيَمَةِ اللَّهِ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ، وَأَنْ يَكُونَ الشَّهِيدُ صِفَةً ذَلِكَ، وَكَذَا
 الْمُتَحَنُّنُ صِفَةً لِذَلِكَ، وَفِي خِيَمَةِ اللَّهِ خَبَرٌ، وَالْمُتَحَنُّنُ الْمُجَرَّبُ مِنْ
 قَوْلِهِمْ: امْتَحَنَ فُلَانٌ لَأَمْرٍ كَذَا جُرَّبَ لَهُ وَدُرَّبَ لِلْهُوْضِ بِهِ، فَهُوَ
 مُضْطَلَعٌ غَيْرٌ وَإِنْ عَنَّهُ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ صَابِرٌ عَلَى الْجِهَادِ قَوِيٌّ عَلَى
 احْتِمَالِ مَشَاقِقِهِ (لَا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلَّا بِدَرَجَةِ النَّبُوَّةِ): لَجَمْعِهِ بَيْنَ
 الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَزِيَادَةِ سَعَادَةِ الشَّهَادَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ يُشَارِكُونَ أُمَّهَتَهُمْ
 فِيمَا صَدَرَ عَنْهُمْ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَالْجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ
 الْمُتَعَاظِفِينَ (وَمُؤْمِنٌ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، جَاهَدَ بِنَفْسِهِ
 وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِذَا): كَذَا فِي التَّسْخِخِ وَالظَّاهِرُ: (فَإِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ
 قَاتِلَ حَتَّى يُقْتَلَ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - فِيهِ) ؛ أَيُّ: فِي حَقِّهِ
 مُصَمِّصَةٌ: بِالْمُهْمَلَتَيْنِ، وَفِي نُسْخَةٍ بِالْمُعْجَمَتَيْنِ فَفِي
 الْقَامُوسِ: الْمَصْمُصَةُ الْمَضْمُضَةُ بِطَرَفِ اللِّسَانِ، وَمَصْمُصَةُ الذُّنُوبِ

تَمْحِصُهَا، وَالْمَضْمَضَةُ تُخْرِيكُ الْمَاءَ فِي الْفَمِ. وَفِي
الْفَائِقِ: مُصَمَّصَةٌ ؛ أَي: مُطَهَّرَةٌ مِنْ دَنَسِ الْخَطَايَا مِنْ
قَوْلِهِمْ: مَصَمَصْتُ الْإِنَاءَ بِالْمَاءِ إِذَا حَرَكْتُهُ حَتَّى يَطْهَرُ، وَمِنْهُ
مَصَمَصَةُ الْفَمِ وَهُوَ غَسْلُهُ بِتَخْرِيكِ الْمَاءِ فِيهِ كَالْمَضْمَضَةِ، وَقِيلَ: هِيَ
بِالصَّادِ غَيْرِ الْمُعْجَمَةِ بِطَرَفِ اللِّسَانِ، وَبِالصَّادِ بِالْفَمِ كُلِّهِ وَإِنَّمَا أَنْتَ
لَأَنَّهُ فِي مَعْنَى الشَّهَادَةِ، أَوْ أَرَادَ مَصَمَصَةً فَأَقَامَ الصِّفَةَ مَقَامَ
الْمَوْصُوفِ (مَحَتْ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ، إِنَّ السَّيْفَ مَحَاءٌ) ؛ أَي: كَثِيرُ
الْمَحْوِ (لِلْخَطَايَا): أَي: الصَّغَائِرِ، وَأَمَّا الْكِبَائِرُ فَتَحَتِ الْمَشِيئَةُ، لَكِنْ
وَرَدَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمرَ: الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ كُلَّ
خَطِيئَةٍ إِلَّا الدِّينَ. (وَأُدْخِلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ): تَعْظِيمًا لَهُ
وَتَكْرِيمًا. قَالَ الطَّبِيبِيُّ، قَوْلُهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - ذَكَرَهُ فِي أَثْنَاءِ
الْحَدِيثِ مَرَّتَيْنِ احْتِيَاظًا لئَلَّا يَلْتَبِسَ نَصُّ النَّبِيِّ بِرَاوِيَتِهِ اهْتِمَامًا بِشَأْنِ
الْمَقُولِ اه. وَهُوَ يُشْعِرُ بِأَنَّ الْمُعْتَرِضَتَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ الرَّاويِ غَيْرُ حَالِ
رِوَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ، فَأَدْرَجَهُمَا فِيهِ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ ﷺ - قَالَهُ فِيهِمَا
بَيْنَ كُلِّ مِنَ الْمُتَعَاظِفَيْنِ بَيَانًا بَعْلُو مَرَّتَيْهِمَا، أَوْ تَبْيَانًا لَتَفَاوُتِ
مَنْزِلَتِهِمَا، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْدَ قَوْلِهِ: (وَمُنَافِقٌ) ؛ أَي: وَمَنْ الْقَتْلَى مُنَافِقُ
(جَاهِدْ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَإِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتِلٌ حَتَّى يُقْتَلَ ؛ فَذَاكَ فِي
النَّارِ): وَإِلَّا فَالْكُلُّ مُشْتَرِكٌ فِي وَصْفِ الْمُقَاتِلَةِ إِلَى أَنْ يُقْتَلُوا، فَلَا بُدَّ

مِنَ التَّمَايُزِ بَيْنَهُمْ لِحُصُولِ الْمَرَامِ فِي الْكَلَامِ (إِنَّ السَّيْفَ): اسْتِنَافٌ فِيهِ مَعْنَى التَّغْلِيلِ، وَفِي نُسخَةٍ بَفَتْحِ أَنْ (لَا يَمْحُو النَّفَاقَ): فَهُوَ كَمَا قَالَ - ﷺ -: «إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ» عَلَى مَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، فِي عَمْرِو بْنِ الثُّعْمَانِ بْنِ مُقَرَّنٍ، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ بِلَفْظٍ: «فَإِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الْإِسْلَامَ بِرِجَالٍ مَا هُمْ مِنْ أَهْلِهِ» "وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ، وَابْنِ حَبَّانَ، عَنْ أَنَسٍ، وَأَحْمَدَ، وَالتَّبْرَانِيَّ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ بِلَفْظٍ "إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ" ١١٩ .

وَعَنْ أَبِي يَزِيدَ الْخَوْلَانِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ فَضَالََةَ بْنَ عُبَيْدٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "الشُّهَدَاءُ أَرْبَعَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَيِّدُ الْإِيمَانِ، لَقِيَ الْعَدُوَّ، فَصَدَّقَ اللَّهَ حَتَّى قُتِلَ، فَذَلِكَ الَّذِي يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ أَعْيُنُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَكَذَا" وَرَفَعَ رَأْسَهُ حَتَّى وَقَعَتْ قَلَنْسُوَّتُهُ، قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَقَلَنْسُوَّةَ عُمَرَ أَرَادَ أَمْ قَلَنْسُوَّةَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: «وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَيِّدُ الْإِيمَانِ لَقِيَ الْعَدُوَّ فَكَأَنَّمَا ضُرِبَ جِلْدُهُ بِشَوْكٍ طَلَحَ مِنَ الْجُبْنِ أَتَاهُ سَهْمٌ غَرِبَ فَقَتَلَهُ فَهُوَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ، وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا لَقِيَ الْعَدُوَّ فَصَدَّقَ اللَّهَ حَتَّى قُتِلَ فَذَلِكَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ، وَرَجُلٌ

مُؤْمِنٌ أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ لَقِيَ الْعَدُوَّ فَصَدَّقَ اللَّهُ حَتَّى قُتِلَ فَذَلِكَ
فِي الدَّرَجَةِ الرَّابِعَةِ»^{١٢٠}

الرابعة عشرة: ليست جنة ولكنها جنان:

عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ الرَّبِيعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ
حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ
حَارِثَةَ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرِبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ
صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ
حَارِثَةَ إِنَّهَا جَنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ ابْنُكَ أَصَابَ الْفَرْدَوْسَ الْأَعْلَى»^{١٢١}
وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ
بَدْرٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرِبٌ فَقَتَلَهُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْتَ مَوْقِعَ
حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَسَوْفَ تَرَى

^{١٢٠} - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٧٧) (١٦٤٤) ومسنند أبي الطيالسي - طبعة دار

هجر - مصر (١/ ٣٤) (٤٥) صحيح لغيره

^{١٢١} - صحيح البخاري (٤/ ٢٠) (٢٨٠٩)

[ش (تحدثني) تخبرني. (غرب) لا يدري من رمى به. (اجتهدت) بذلت وسعي
وطاقتي. (أصاب) كان نصيبه. (الفردوس الأعلى) أفضل مكان في الجنة والفردوس هو
البستان الذي يجمع ما في البساتين من شجر وزهر ونبات]

مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «هَبِلْتِ؟ أَوْ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جَنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ لَفِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى»^{١٢٢}
وَعَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ: أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرُ وَأَحْتَسِبُ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ: «وَيَحْكُ، أَوْ هَبِلْتَ، أَوْ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جَنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ لَفِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ»^{١٢٣}

الخامسة عشرة: أعلى درجات الجنة للشهداء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: «إِنْ فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^{١٢٤}

^{١٢٢} - أحاديث إسماعيل بن جعفر (ص: ١٨٥) (٧٦) صحيح

^{١٢٣} - صحيح البخاري (٨ / ١١٤) (٦٥٥٠)

^{١٢٤} - صحيح البخاري (٩ / ١٢٥) (٧٤٢٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^{١٢٥}

(أَوْسَطُ الْجَنَّةِ): أَيُّ أَعْدَلُهَا وَأَفْضَلُهَا وَأَوْسَعُهَا وَخَيْرُهَا ذَكَرَهُ الشُّيُوطِيُّ (وَأَعْلَى الْجَنَّةِ)، قِيلَ: فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ السَّمَاوَاتِ كُرِّيَّةٌ، فَإِنَّ الْوَسْطَ لَا يَكُونُ أَعْلَى إِلَّا إِذَا كَانَ كُرِّيًّا. قَالَ الطَّبِيبِيُّ: النُّكْتَةُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَعْلَى وَالْأَوْسَطِ أَنَّهُ أَرَادَ بِأَحَدِهِمَا الْحَسِّيَّ وَبِالْآخَرِ الْمَعْنَوِيَّ، فَإِنَّ وَسْطَ الشَّيْءِ أَفْضَلُهُ وَخَيْرُهُ، وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْأَطْرَافَ يَتَسَارَعُ إِلَيْهَا الْخَلَلُ، وَالْأَوْسَاطُ مَحْمِيَّةٌ مَحْفُوظَةٌ. قَالَ الطَّبِيبِيُّ: كَانَتْ هِيَ الْوَسْطُ الْمَحْمِيَّةُ، فَاسْتَنْفَتَ بِهَا الْحَوَادِثُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرْفًا. (وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ)، فَهُوَ سَقْفُ الْجَنَّةِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ، وَفَوْقَ بِالنَّصْبِ وَفِي نُسخَةٍ بِالرَّفْعِ. قَالَ الثَّوْرِبَشْتِيُّ: قَيْدُهُ الْأَصِيلِيُّ بِضَمِّ الْقَافِ ؛ أَيُّ أَعْلَاهُ، وَالْجُمْهُورُ بِالنَّصْبِ عَلَى الظَّرْفِ. (وَمِنْهُ): أَيُّ مِنَ الْفِرْدَوْسِ

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهُوَ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ» يُرِيدُ بِهِ أَنَّ الْفِرْدَوْسَ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ، فِي الْعَرْضِ، وَقَوْلُهُ «وَهُوَ أَعْلَى الْجَنَّةِ» يُرِيدُ بِهِ: فِي الارتفاعِ "صحيح ابن حبان - مخرجا (١٠ / ٤٧٣)

^{١٢٥} - تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا (٣ / ١٠٤٤) صحيح

(تَفَجَّرُ): أَيُّ تَتَفَجَّرُ (أَنْهَارُ الْجَنَّةِ).؛ أَيُّ أَصُولُ الْأَنْهَارِ الْأَرْبَعَةِ مِنَ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ وَالْخَمْرِ وَالْعَسَلِ.

قَالَ الطَّبِيُّ، فَإِنْ قُلْتُ: كَيْفَ التَّوْفِيقُ بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ وَبَيْنَ مَا وَرَدَ فِي صِفَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا؟ قُلْتُ: هُوَ مُطْلَقٌ مُحْمُولٌ عَلَى هَذَا الْمُقَيَّدِ، أَوْ تَفْسِيرٌ لِلْمُجَاهِدِينَ بِالْعُمُومِ دَرَجَةٌ وَالْدَّرَجَاتُ بِحَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ فِي الْجِهَادِ، فَيَكُونُ الْفِرْدَوْسُ لِمَنْ جَاهَدَ حَقَّ جِهَادِهِ. قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: يُحْتَمَلُ أَنْ تُجْرَى الدَّرَجَاتُ عَلَى ظَاهِرِهِ مُحْسُوسًا كَمَا جَاءَ فِي أَهْلِ الْعُرْفِ أَنَّهُمْ يُتَرَاءَوْنَ كَالْكُوكَبِ الدُّرِيِّ وَأَنْ تُجْرَى عَلَى الْمَعْنَى، وَالْمُرَادُ كَثْرَةُ النِّعَمِ وَعَظِيمُ الْإِحْسَانِ مِمَّا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذِكْرُهُ التَّوْوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ^{١٢٦}

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ، وَآتَى الزَّكَاةَ، وَمَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ هَاجِرًا وَمَاتَ فِي مَوْلَدِهِ» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا بِهَا؟ فَقَالَ: «إِنَّ لِلْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي

^{١٢٦} - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٤٥٤)

سَبِيلِهِ، وَلَوْ لَا أَنَّ أَشَقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أَحَدٌ مَّا أَحْمَلَهُمْ عَلَيْهِ، وَلَا
تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا بَعْدِي، مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوْ دِدْتُ
أَنِّي أُقْتَلُ، ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»^{١٢٧}

السادسة عشرة: يضحك إليهم ربهم:

عَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَبَّارٍ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ الشُّهَدَاءُ؟ قَالَ: «الَّذِينَ
يُلْقُونَ فِي الصَّفِّ وَلَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، فَأُولَئِكَ
يَتَلَبَّطُونَ فِي الْعُرْفِ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ، يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا
ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ»^{١٢٨}
وَعَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَيُّ
الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يُلْقُونَ فِي الصَّفِّ وَلَا يَفْتَلُونَ
وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْعُرْفِ الْعُلَى مِنَ
الْجَنَّةِ يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي مَوْطِنٍ
فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ»^{١٢٩}

^{١٢٧} - سنن النسائي (٦/ ٢٠) (٣١٣٢) صحيح لغيره

^{١٢٨} - الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٥٧٠) (٢٢٩) صحيح

^{١٢٩} - سنن سعيد بن منصور (٢/ ٢٥٩) (٢٥٦٦) صحيح

السابعة عشرة: دمه الذي أريق اللون لونُ الدّم، والريحُ ريحُ المسك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ»^{١٣٠}
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَكُونُ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ طُعِنَتْ تَتَفَجَّرُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالْعَرَفُ عَرَفُ الْمِسْكِ»^{١٣١}

(أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ): قَالَ السُّيُوطِيُّ: أَيُّ سَوَاءٍ مَاتَ صَاحِبُهُ مِنْهُ أَمْ لَا. كَمَا يُؤْخَذُ مِنْ رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ («وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ»): جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْمُسْتَشْنَى وَالْمُسْتَشْنَى مِنْهُ مُؤَكِّدَةٌ مُقَرَّرَةٌ لِمَعْنَى الْمُعْتَرِضِ فِيهِ، وَتَفْخِيمٌ شَأْنِ مَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ، وَمَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِعَظَمِ شَأْنِ مَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} [آل عمران: ٣٦] وَقَوْلُهُ: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ} [آل عمران: ٣٦] مُعْتَرِضٌ بَيْنَ كَلَامِي أُمِّ مَرْيَمَ تَعْظِيمًا

^{١٣٠} - صحيح البخاري (٤/ ١٨) (٢٨٠٣)

^{١٣١} - الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٤٨٧) (١٧٩) صحيح

لِمَوْضُوعِهَا وَتَجْهِيلاً لَهَا بِقَدْرِ مَا وَهَبَ لَهَا، وَالْمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِالشَّيْءِ الَّذِي وَضَعَتْ، وَمَا عَلَّقَ بِهِ مِنْ عِظَائِمِ الْأُمُورِ، وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ تَتَمِيمًا لِلصِّيَانَةِ مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ. قُلْتُ: هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ، ثُمَّ
الْأَوَّلُ إِنَّمَا يَتِمَسَّى كَوْنُهُ تَنْظِيرًا عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ وَضَعَتْ بِصِيعَةِ
الْعَائِبَةِ لَا عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ بِصِيعَةِ الْمُتَكَلِّمِ كَمَا لَا يَخْفَى، وَقَدْ قَالَ
النَّوَوِيُّ: هَذَا تَنْبِيهُ عَلَى الْإِخْلَاصِ فِي الْعَزْوِ، وَأَنَّ الثَّوَابَ الْمَذْكُورَ فِيهِ
إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ أَخْلَصَ فِيهِ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَهَذَا الْفَضْلُ
وَإِنْ كَانَ ظَاهِرًا فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ لَكِنْ يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ جُرِحَ فِي قِتَالِ
الْبُعَاةِ، وَقُطِّعَ الطَّرِيقُ، وَإِقَامَةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَنَحْوِ ذَلِكَ. (إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ): بِضَمِّ أَوَّلِهِ (يَنْعَبُ): قَالَ
السُّيُوطِيُّ: بِسُكُونِ الْمُثَلَّثَةِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُثَمَّلَةِ وَمُوحَّدَةٍ. وَفِي شَرْحِ
مُسْلِمٍ؛ أَيْ يَجْرِي مُنْفَجِرًا؛ أَيْ كَثِيرًا، وَهُوَ مَعْنَى الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى
يَنْفَجِرُ (دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ): وَفِي نُسْخَةِ لِمُسْلِمٍ: لَوْنُ دَمٍ (وَالرَّيْحُ
رِيحُ الْمِسْكِ): قَالَ النَّوَوِيُّ: الْحِكْمَةُ فِي مَجِيئِهِ كَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ
مَعَهُ شَاهِدٌ فِي فَضِيلَتِهِ وَبَذَلَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ
التَّوْرِبَشْتِيُّ: نَعَبْتُ الْمَاءَ فَجَرَّتُهُ فَانْتَعَبَ، إِضَافَةُ الْفِعْلِ إِلَى الْجُرْحِ لِأَنَّهُ
السَّبَبُ فِي فَجْرِ الدَّمِ وَدَمًا يَكُونُ مَفْعُولًا، وَلَوْ أَرَادَ بِهِ التَّمْيِيزَ لَكَانَ
مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَقُولَ: يَنْتَعَبُ دَمًا، أَوْ يُنْعَبُ عَلَى بِنَاءِ الْمَجْهُولِ وَلَمْ

أَحَدُهُ رَوَايَةً. قَالَ الطَّبِيبُ: مَجِيئُهُ مُتَعَدِّيًا نُقِلَ عَنِ الْجَوْهَرِيِّ، وَظَاهِرُ
كَلَامِ صَاحِبِ النِّهَايَةِ أَنَّهُ لَازِمٌ حَيْثُ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ يَجْرِي، وَلِأَنَّهُ جَاءَ
فِي حَدِيثٍ آخَرَ وَجُرْحُهُ يَشْخَبُ دَمًا، وَالشَّخْبُ السَّيْلَانُ، وَقَدْ
شَخَبَ يَشْخَبُ وَيَشْخَبُ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ مِنْ قَبِيلِ قَوْلِهِ
تَعَالَى: {وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ} [التوبة: ٩٢] فَإِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ
يُقَالُ: إِنَّ الدَّمْعَ يَفِيضُ مِنَ الْعَيْنِ، فَجَعَلَ الْعَيْنَ فَائِضَةً مُبَالَغَةً، وَكَذَلِكَ
الدَّمُ السَّائِلُ مِنَ الْجُرْحِ لَا الْجُرْحُ سَائِلٌ أَه. وَيُؤَيِّدُ الشَّيْخُ مَا فِي
الْقَامُوسِ: ثَعَبَ الْمَاءَ وَالدَّمَ؛ أَيْ كَمَعَ فَجَرَهُ فَانْتَعَبَ، لَكِنَّ الْمَفْهُومَ
مِنَ النَّجَاحِ أَنَّهُ لَازِمٌ وَمُتَعَدٍّ، كَذَا فِي دُسْتُورِ اللَّغَةِ: ثَعَبَ الدَّمَ؛ أَيْ
سَالَ وَأَسَالَ، وَفِي الْمَشَارِقِ لِلْقَاضِي عِيَاضٍ: ثَعَبَ تَفَجَّرَ، وَكَذَلِكَ
قَوْلُهُ: يَتَعَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ، وَكَأَنَّ الشَّيْخَ لَمْ يَطْلُعْ عَلَى مَجِيئِهِ
لَازِمًا، وَأَمَّا حَدِيثُ يَشْخَبُ فَعَبْرُ حُجَّةٍ عَلَيْهِ كَمَا لَا يَخْفَى.^{١٣٢}

وَلِهَذَا لَا يُنْزَعُ عَنْهُ جَمِيعُ ثَبَاتِهِ، عَلَى مَا رُوِيَ أَنَّ حَمَزَةَ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ - كَفَّنَ فِي نَمْرَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ حِينَ أُسْتُشْهِدَ، وَلَكِنْ يُنْزَعُ
عَنْهُ السَّلَاحُ لِأَنَّهُ كَانَ لِبَسِهِ لِدَفْعِ الْبَاسِ فَقَدْ انْقَطَعَ ذَلِكَ. وَلِأَنَّ دَفْنَ
الْقَتْلَى مَعَ الْأَسْلِحَةِ فَعَلُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ نُهِينَا عَنْ التَّشَبُّهِ
بِهِمْ. وَكَذَلِكَ مَا لُبِسَ مِنْ جِنْسِ الْكَفَنِ كَالسَّرَاوِيلِ وَالْقُلُتُسُوءِ

١٣٢ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٤٦٢)

وَالْمِنْطَقَةَ وَالْخَائِمَ وَالْخُفَّ. هَكَذَا ذَكَرَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أُمَّةِ
التَّابِعِينَ. ١٣٣

الثامنة عشرة: الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ نَهْرٍ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ نَهْرٍ
بِبَابِ الْجَنَّةِ فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ يُخْرَجُ إِلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً
وَعَشِيًّا» ١٣٤

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ أَصَحُّ مِنْ هَذَا، (حديث ابن
مسعود) وَرُويَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ حَدِيثِ ابْنِ
مَسْعُودٍ فَإِنْ صَحَّ هَذَا فَكَانَتْ فِي قَوْمٍ مِنْهُمْ، وَالْحَدِيثُ الْأَوَّلُ فِي
آخَرِينَ وَلِأَهْلِ الْجَنَّةِ مَنَازِلُ وَدَرَجَاتُ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ أَحْوَالُهُمْ
فِيمَا يُعَذَّبُونَ بِهِ مُخْتَلِفَاتٌ، وَعَلَى ذَلِكَ يُحْمَلُ مَا رُوِيَ فِي أَنْوَاعِ
الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، فَيُصْنَعُ بِقَوْمٍ هَكَذَا وَبِقَوْمٍ كَذَلِكَ لَا أَنْ شَيْئًا مِنْ
هَذِهِ الْأَخْبَارِ يُخَالِفُ صَاحِبَهَا خِلَافَ تَنَاقُضٍ وَلَكِنْ أَحْوَالُهُمْ
تَخْتَلِفُ فِي أَنْوَاعٍ مَا يُجْزَوْنَ بِهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ١٣٥

١٣٣ - شرح السير الكبير (ص: ٢٣٢)

١٣٤ - صحيح ابن حبان - مخرجا (١٠/ ٥١٥) (٤٦٥٨) صحيح

١٣٥ - إثبات عذاب القبر للبيهقي (ص: ٦٨)

التاسعة عشرة: لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا:
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي
النَّارِ أَبَدًا»^{١٣٦}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ فِي النَّارِ أَبَدًا»
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ أَبَدًا
اجْتِمَاعًا يَضُرُّ أَحَدَهُمَا»، قَالُوا: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ يُقْتَلُ
كَافِرًا، ثُمَّ سَدَّدَ الْمُسْلِمُ بَعْدَهُ»

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ اجْتِمَاعًا
يَضُرُّ أَحَدَهُمَا مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا، ثُمَّ سَدَّدَ الْمُسْلِمُ وَقَارِبَ، وَلَا
يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ عَبْدٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُحَانُ جَهَنَّمَ، وَلَا
يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالشُّحُّ»^{١٣٧}

قَالَ الْقَاضِي: يُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا مُخْتَصٌّ بِمَنْ قَتَلَ كَافِرًا فِي
الْجِهَادِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مُكْفَرًا لِذُنُوبِهِ حَتَّى لَا يُعَاقَبَ عَلَيْهَا، وَأَنْ يَكُونَ
عِقَابُهُ بِغَيْرِ النَّارِ، أَوْ يُعَاقَبَ فِي غَيْرِ مَكَانِ عِقَابِ الْكُفَّارِ، وَلَا
يَجْتَمِعَانِ فِي إِدْرَاكِهَا. قَالَ الطَّبِيُّ: وَالْأَوَّلُ هُوَ الْوَجْهُ وَهُوَ مَنْ

^{١٣٦} - صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٥) - ١٣٠ - (١٨٩١)

^{١٣٧} - مستخرج أبي عوانة (٤/ ٤٧٦) (٧٣٩٣ - ٧٣٩٥) صحيح

الْكِنَايَةِ التَّلْوِيحِيَّةِ نَفَى الْجَمَاعَ، فَيَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ الْمُسَاوَاةِ بَيْنَهُمَا فَيَلْزَمُ
 أَنْ لَا يَدْخُلَ الْمُجَاهِدُ النَّارَ أَبَدًا، فَإِنَّهُ لَوْ دَخَلَهَا لَسَاوَاهُ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ
 عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي، وَلَا
 يَجْتَمِعُ عَلَى عَبْدٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ. وَفِي رِوَايَةٍ: فِي
 مَنْخَرِي مُسْلِمٍ، وَقَوْلُهُ: أَبَدًا بِمَعْنَى قَطُّ فِي الْمَاضِي، وَعَوِضٌ فِي
 الْمُسْتَقْبَلِ تَنْزِيلًا لِلْمُسْتَقْبَلِ مَنْزِلَةَ الْمَاضِي. الْجَوْهَرِيُّ، يُقَالُ: لَا أَفْعُلُهُ
 أَبَدَ الْأَبَدِ وَأَبَدَ الْأَبَدِينَ كَمَا يُقَالُ: دَهَرَ الدَّاهِرِينَ وَعَوِضَ
 الْعَائِضِينَ، وَالْمَقَامُ يَقْتَضِيهِ ؛ لِأَنَّهُ تَرْغِيبٌ فِي الْجِهَادِ وَحَثٌ
 عَلَيْهِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ: «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمًا عَبْدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ
 النَّارُ»^{١٣٨}

العشرون: ازدحامهم على أبواب الجنة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِذَا وَقَفَ النَّاسُ
 لِلْحِسَابِ، جَاءَ قَوْمٌ وَاضِعُوا سُيُوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ تَقْطُرُ
 دَمًا، فَارْزَحْمُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَقِيلَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ الشُّهَدَاءُ
 كَانُوا أَحْيَاءَ مَرْزُوقِينَ" ^{١٣٩}

^{١٣٨} - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٤٥٩)

^{١٣٩} - الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٥٤٠) (٢٠٨) حسن

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا وَقَفَ الْعِبَادُ لِلْحِسَابِ جَاءَ قَوْمٌ وَأَضْعَى سُيُوفِهِمْ عَلَى رِقَابِهِمْ تَقْطُرُ دَمًا فَازْدَحَمُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ» فَقِيلَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: «الشَّهَدَاءُ كَانُوا أَحْيَاءَ مَرْزُوقِينَ ثُمَّ نَادَى مُنَادٌ لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ، ثُمَّ نَادَى الثَّانِيَةَ لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ» قَالَ: وَمَنْ ذَا الَّذِي أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ قَالَ: «الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ، ثُمَّ نَادَى الثَّالِثَةَ لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ، فَقَامَ كَذَا وَكَذَا أَلْفًا فَدَخَلُوهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ»^{١٤٠}

الحادية والعشرون: الحور العين اللواتي أعدهن الله للمؤمنين:

يزوج الله الشهداء بالحور العين. وإن الحور العين قد يتراءين للجريح إذا أغمي عليه قبل خروج روحه، وذلك بشارة له بأن الله قد تقبله شهيداً. وقد يترائين للمجاهد في المنام ليكون هذا أدعى له لبذل مزيد من الجهد في الجهاد والقتال.

والحور العين اسم أطلق في القرآن على النساء اللواتي خلقهن الله في الجنة، وجعلهن للمؤمنين الصالحين، وبالذات للمجاهدين والشهداء. ومفرد الحور العين: الحوراء العيناء. والحوراء: هي شديدة

^{١٤٠} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ١٨٧) حسن

بياض العين وشديدة سواد الجزء الأسود من العين، فالحور شدة بياض العين في شدة سوادها. والعيناء هي: عظيمة العينين واسعتهما جميلتهما، قال تعالى: { وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) } [الواقعة: ٢٢ - ٢٤].

وَلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ زَوْجَاتٌ حَسَنَاتٌ، بِيضُ الْوُجُوهِ، وَاسِعَاتُ الْعُيُونِ. كَأَنَّهُنَّ فِي بُهَائِهِنَّ وَإِشْرَاقِهِنَّ وَبَيَاضِ بَشَرَتِهِنَّ، وَصَوْنِهِنَّ عَنِ اللَّمَسِ وَالْإِتِّدَالِ، لَوْلُؤٌ مَكْنُونٌ فِي أَصْدَافِهِ. وَهَذَا الَّذِي فَازُوا بِهِ هُوَ عَطَاءٌ مِنَ اللَّهِ تَكْرَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. ١٤١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: ذَكَرَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: لَا تَجِفُّ الْأَرْضُ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ حَتَّى تَبْتَدِرَهُ زَوْجَتَاهُ كَأَنَّهُمَا ظُرَّانِ أَضَلَّتَا فَصِيلَيْهِمَا فِي بَرَّاحٍ مِنَ الْأَرْضِ وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا حُلَّةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. ١٤٢

١٤١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٨٨٠، بترقيم الشاملة آليا)

١٤٢ - مصنف ابن أبي شيبة - دار القبله (١٠ / ٢٤٠) (١٩٦٦٨) فيه جهالة الظَّفَرِ بِكَسْرِ الظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ بَعْدَهَا هَمْزَةٌ سَاكِنَةٌ هِيَ الْمُرْضِعُ وَمَعْنَاهُ أَنَّ زَوْجَتَيْهِ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ تَبْتَدِرَانِهِ وَتَحْنُوَانِ عَلَيْهِ وَتُظْلِلَانِهِ كَمَا تَحْنُو النَّاقَةُ الْمُرْضِعُ عَلَى فَصِيلِهَا وَيَحْتَمِلُ أَنَّ يَكُونُ أَضَلَّتَا بِالضَّادِ فَيَكُونُ النَّبِيُّ ﷺ شَبَهَ بَدَارِهِمَا إِلَيْهِ بِاللَّهْفَةِ وَالْحَنُوِّ وَالشُّوْقِ كِبْدَارِ النَّاقَةِ الْمُرْضِعِ إِلَى فَصِيلِهَا الَّذِي أَضَلَّتَهُ وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْإِحْتِمَالُ قَوْلُهُ فِي بَرَّاحٍ مِنَ الْأَرْضِ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلَوْنُهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يُؤْلَوْنَ وَلَا يَتَعَوَّطُونَ، وَلَا يَتَفَلُّونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْسَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ الْأَنْجُوجُ، عُودُ الطَّيِّبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»^{١٤٣}.

وَعَنْ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: تَفَاحَمُوا أَوْ تَفَاحَرُوا يَوْمًا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالُوا: الرَّجَالُ أَكْثَرُ فِي الْجَنَّةِ أَمْ النِّسَاءُ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَوَّلُيسَ قَدْ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَجُوهُهُمْ مِثْلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلَوْنُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلَوْنُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلَوْنُهُمْ كَأَضْوَاءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، كَذَلِكَ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَالْبِرَاحُ يَفْتَحُ الْبَاءَ الْمُوَحَّدَةَ وَبِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةَ هِيَ الْأَرْضُ الْمَتَسَّعَةُ لَا زَرْعَ فِيهَا وَلَا شَجَرَ" التَّغْيِيبُ وَالتَّهْيِيبُ لِلْمَنْدَرِيِّ (٢/ ٢١٢)

^{١٤٣} - صحيح البخاري (٤/ ١٣٢) (٣٣٢٧) وصحيح مسلم (٤/ ٢١٧٩) ١٥ - (٢٨٣٤)

[ش (الألنجوج) تفسير للألوة وقوله عود الطيب تفسير له والظاهر أنه تفسير من أحد الرواة. (في السماء) أي علوا وارتفاعا]

زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ يُرَى مُخٌّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
مَا فِيهَا عَزَبٌ»^{١٤٤}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ
تَلْجُ الْجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَنْصُقُونَ
فِيهَا، وَلَا يَمْتَحِطُونَ، وَلَا يَتَعَوَّطُونَ، أَنْيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنْ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأُلُوءَةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخٌّ سَوْقُهُمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحَسَنِ، لَا
اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً
وَعَشِيًّا»^{١٤٥}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ
غَدَوَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ

^{١٤٤} - جامع معمر بن راشد (١١/ ٤١٧) (٢٠٨٧٩) صحيح

^{١٤٥} - صحيح البخاري (٤/ ١١٨) (٣٢٤٥) وصحيح مسلم (٤/ ٢١٧٨) ١٤ -
(٢٨٣٤)

[ش (زمرة) جماعة. تلج) تدخل. (على صورة القمر) أي في الإضاءة. (البدر) اسم للقمر
حين تكتمل. (أنيتهم) أو عيتهم. (مجامرهم) جمع بجمرة وهي المبخرة سميت بذلك لأنها
يوضع فيها الجمر ليفوح به ما يوضع فيها من البخور. (الألوة) العود الهندي الذي يتخير
به. (رشحهم) عرقهم كالمسك في طيب رائحته. (مخ سوقها) ما داخل العظم من
الساق. (قلب واحد) أي كقلب رجل واحد. (بكرة وعشيا) أي في غالب أوقاتهم
يتلذذون بما يلهيهم الله تعالى من ذكره]

مَوْضِعُ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوَطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً
مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ
رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^{١٤٦}.



^{١٤٦} - صحيح البخاري (١٧/٤) (٢٧٩٦) [ش (موضع قيد) مقدار قيد وهو السوط
المتخذ من الجلد الذي لم يدبغ. (ما بينهما) ما بين السماء والأرض. (ريحًا)
عطرا. (لنصيفها) خمارها وهو ما يغطي به الرأس]

الفهرس العام

المبحث الأول.....	٣
ما جاء في القرآن الكريم في جزاء الشهداء.....	٣
الأولى - هم أحياء عند ربهم يرزقون:.....	٣
الثانية -عدم شعورنا بحياة الشهداء:.....	٢٠
الثالثة - الأجر العظيم:.....	٢٨
الرابعة - لن يضلّ اعمالهم:.....	٣٨
الخامسة - التجارة التي لن تبور:.....	٤٣
السادسة - يرجون رحمة الله:.....	٥٥
السابعة - من جاهد في سبيل الله كان من المؤمنين الصادقين:.....	٦٤
الثامنة - من قاتل في سبيل الله فهو من الأخيار والأبرار:.....	٦٩
التاسعة - المغفرة والرحمة والحشر إلى الله.....	٧٧
المبحث الثاني.....	٨٢
جزاؤهم في السنة النبوية.....	٨٢
الأولى: لا يدخل أحد الجنة ويجب أن يخرج منها، ولو أعطي ما في الدنيا جميعاً، إلا الشهيد.....	٨٢

- الثانية: الشهادة في سبيل الله تكفر ما على العبد من الذنوب التي
بينه وبين الله ٨٥
- الثالثة: الملائكة تظلل الشهيد بأجنحتها. ٩٠
- الرابعة: الشهادة الخالصة في سبيل الله توجب دخول الجنة قطعاً.
..... ٩١
- الخامسة: عندما يقتل الشهداء في سبيل الله فإن الله يجعل أرواحهم
في أجواف طير خضر في الجنة. ٩٥
- السادسة: الشهداء لا يفتنون في قبورهم ولا يصعقون عند
نشورهم. ١٠٢
- السابعة: الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته، ويأمن من الفرع
الأكبر ويغفر له بأول قطرة من دمه. ١٠٥
- الثامنة: من استشهد في سبيل الله أفضل ممن انتصر وعاد سالماً
..... ١٠٨
- التاسعة: الشهيد لا يجد من ألم القتل إلا كما يجد من ألم القرصة
..... ١٠٨
- العاشرة: يدخل الملائكة على الشهداء من كل باب يسلمون
عليهم. ١٠٩
- الحادية عشرة: يرضى الله عن الشهيد رضى لا سخط بعده: ١١١
- الثانية عشرة: لا يشترط في الشهادة سبق أعمال الأبرار، بل هي
بسابق الإرادة والاختيار. ١١٣

- الثالثة عشرة: الشهيد في سبيل الله لا يفضلُه النبيون إلا بدرجة
- النبوة: ١١٤
- الرابعة عشرة: ليست جنة ولكنها جنان: ١١٨
- الخامسة عشرة: أعلى درجات الجنة للشهداء: ١١٩
- السادسة عشرة: يضحك إليهم ربهم: ١٢٢
- السابعة عشرة: دمه الذي أريق اللون لونُ الدّم، والريحُ ريحُ
المسك: ١٢٣
- الثامنة عشرة: الشهداءُ على بارقٍ نَهَرٍ: ١٢٦
- التاسعة عشرة: لا يجتمعُ كافرٌ وقَاتِلُهُ في النَّارِ أَبَدًا: ١٢٧
- العشرون: ازدحامهم على أبواب الجنة: ١٢٨
- الحادية والعشرون: الحور العين اللواتي أعدهن الله للمؤمنين: ١٢٩